شهداء نجران

مسرحية تاريخية ذات خمسة فصول

لخوري حنا طنوس ش ـ غزير
نشرها في الذكرى المئوية الاولى لميلاده
(١٨٦٦ ـ ١٩٦٦)

الاشخاص :

الحارث : ملك نجران .
عبد شمس : ابنه .
عبد المسيح : حفيده .
فيمون : راهب مهذب عبد المسيح . .
زدير : رئيس قواد .
مالك / حاشم : ولدا اخيه .
ذو نؤاس : ملك حمير .
عبد المناة : رئيس كهنة الآلهة .
عبد اللات : كاهن .
عبد العزى : وزير الحارث ، خائن .
دوس ثعلبان : رسول .

حرس . جنود . صبيان

الفصل الاول

المشهد الأول

في قصر الخرث

الخرث (واقف).

يُحْسِنُ لي دهري العداوةَ دائماً ... ويمحقُني محقاً بكل المصائب؟
يذوبُ بي . والدمع يخرق مقلتي . ... تسلّ . ولا ترحمْ حيوتَ التجارب .
تكيف تسلّي . والأسى يجرح الحشا . ... بسيف حديد النصل ماضي المضارب
دعتْ بعبد الله محمد عشيرتي ... وصخرُ الملوك الاعجمين الاعارب .
وقد تمه : والجعتي . يرمْ كربتي . ... اخوه . فيا ربّاه . ضاعت مذاهبي .

(يستند متلاعباً عن كتفي . من شدة الحزن . سكوت مدة) . (ثم يرفع رأسه كرجل نهض من سبات عميق) :

قابن ، كيف قتلت اخاك ، قابن ، قابن ، اين اخوك ؟ إن صوت دماء أخيك صارخ إليّ من الأرض ... يا عبد شمس : يا ابناً عقوقاً ، جرحت أباك المراثر . (ينهض ويرفع يده نحو السماء) . والآن : فتهبط عليك من السماء . (يرد يده بغتة ويخفي رأسه مطرقاً) ولدي ، فهل ألعن ولدي ؟ ! .. (يركع) ربي ، أسأت : فقد عجل غضبي لهب حزني . وها إني جاث أمامك ، مسترجع مقالي ، مستغفراً عما فرط مني ، فسامحني . ولينسحل عفوك ولدي . فلا تلعنه ، كما لعنت قابن ، قاتل أخيه . وعلى كل حال ، فلتكن مشيئتك ، يا ذا الجلال ، ولتتقدس إسمك ، أيها القدوس . (ينهض) لكن ، لم تنجل الحقيقة الى الآن ، فعبد شمس أقسمَ ، وحلف مبرئاً نفسه من دم أخيه عبد الله . انما خنجره المرسومَ عليه اسمه ، وجد ملطخاً بالدم ، على جانب القتيل . وحين مات أخوه ، لم يظهر امارات الحزن والاسف ، بل ساقه الطمع الى أن حرك السماء والأرض ، وهيج شعبي على الثورة ، ليحملني على أن أتنازل له عن الملك ، وأحرم ابن أخيه ، حفيدي ، عبد المسيح ... وأنا حلفت على أن لا أحرم صاحب الحق من حقه أبداً . ولا يعمل بي الحمق الى أن أسلم تدبير مملكتي الى فتى جاهل ،

ينقلب كيفما تقلبه الأمواج : والأهواء . ونحن في أيام فتنة : وأوقات حرجة : انما أسمع صوتاً . (ينظر) : هذا حفيدي عبد المسيح : مع مؤدبه ميمون . فانه آت الي كعادته . قبل النوم . فيعزيني بقبلاته الرطبة : ويسليني بأقواله العذبة . وأشعاره المنتخبة .

المشهد الثاني

الحارث . عبد المسيح . ميمون

عبد المسيح (يدخل فيرى جده يبكي بين يدي)

شوقي : وجدي : روحي . جدي . عزي . سندي : فرحي وجدي
حبي قلبي : قلبي عزي نفسي نفدي : روحي أفدي .
أبيغ جدي أوج المجد .

(يرتمي بين ذراعي الحارث مقبلاً يديه)

الحارث (يقبله ضاماً إياه الى صدره) — ولدي وروحي : وبلسم جروحي .

عبد المسيح (يلمح الحارث باكياً) — مالي أراك تبكي : أي جدي ؟

الحارث هذه دموع فرحي : واستبشاري فيك : يا ولدي .

عبد المسيح لا : يا جدي : فدمعك سخين . وقلبك حزين . ففي صدرك زفير الحسرات . وعلى جبينك للغم علامات . فقل لي ما يؤلمك ؟ فقد هدّت الأوجاع بدنك . وذهبت الأحزان ببهاء حسنك وجمالك .

الحارث طب نفساً : يا ولدي : وعش قرير العين . ولا تغتم لشيء . بل نم ناعم البال (على حده) ما أشبهك بأبيك . ما رأيتك مرة إلا ذكرته فتقطعت كبدي .

عبد المسيح قل لي ما يروق بعينك : فأصنعه . لعلي أقشع عن قلبك غيوم الهموم . فيستنير وجهك بنور الأفراح ... فهل تحب أن تمتع البصر بمشهد الفلك الدوّار ، وتروح البال بضياء أنوار تحاكي النهار : فترى القبة الزرقاء ، والسماء الحسناء ، والنجوم تسطع : والكواكب تلمع : والبدر يطلع ؟

الحارث لا تطيب نفسي بهذا .

عبد المسيح هل تطيب نفسك بالأشعار : فأنشدك أبياتاً في وصف ليلة طلوع القمر ؟

الحارث قل ما أحببت .

عبد المسيح وقبة بلور تلألأ صفاؤها . فزادت ضياءً بالملأى المواضع
مرصعة مرآتها بجواهر تشع بأنوار النجوم الطوالع
مصابيحها تملي النواظر دهشةً تدور على الأفلاك في حسن طالعه
وبدر بديع الوجه ، ساطع ضيه . يضيء كمجدي كل هذي المدائع

الحارث بورك في نيك يا ولدي . فأنت رجائي . وعزائي

فيصل أنشد ما حفظته اليوم في الدين النصراني .

عبد المسيح على دين المسيح سلام ربي . فسُدْ بالكون يا دين المسيح
فأنت الشمس تطلع كل صبح تنير الناس بالنور الصحيح
فكم بددت عن وجه البرايا دياجي الكفر بالقول الفصيح
وكم خلصت نفساً من شرور وكم عزيت من قلب جريح
أيا دين المسيح : علوت مجداً : فما أسماك يا دين المسيح

الحارث حييت لي يا بني : ودمت عزاً للنويك . ومجداً لاسم أبيك . أفتحب هذا الدين ؟

عبد المسيح فدتك المهج : أي جدي : وسولاي : فكيف لا أحب : أعزك الله : ديناً رضعت أفاويقه مع حليب أمي ؟

الحارث فإذا أثار علينا ذو نواس ملك حمير حرباً ، كما فعل في القبائل : وخيّرك بين الموت والجحود : فما أنت فاعل ؟

عبد المسيح فإني أختار الموت على الجحود .

الحارث وإن عذبوك أفلا تكفر ؟

عبد المسيح فلو عُذّبت في جب قبيح ولو أُودعت حياً في ضريحي
لما أنكرتُ رب المجد يوماً وما أشركتُ في الدين الصحيح
أنا عبد المسيح بإذن ربي ومن يفترى على عبد المسيح .

الحارث ما أسمى عواطف قلبك ، فدم بني في هذه الشواعر الدينية ، والله أسأل ، أن يحفظ لسانك من الخطل ، وقدمك من الزلل . وأمتعني بك المهلي الحياة كلها . وأما الآن فعد الى غرفتك . فقد ذنت ساعة رقادك .

المشهد الثالث

الحارث وفيمون

الحارث — يا لك ولداً ؛ حسن الخُلق ؛ رضي الخُلق . كريم النفس ؛ ناهض الهمة . فأنت لي نعمة وهبنيها الله . أيام حزني تشريني كربي . انما كلما فكرت بموت أبيه . خفق فؤادي جزعاً . وارتعشت فرائصي فزعاً . فشيطان الطمع . الذي لا يزال يوسوس لعبد شمس . ويغريه على الاستبداد بالملك . يحمله على الفتك بابن أخيه ؛ ليخلو له الجو — لي . أبعد عني هذه النائبة .

فيمون — أبعد عن بالك هذه الوساوس . أيها الحرّ الكريم . فما داء دم الحارث الشريف ؛ يجري في عروق عبد شمس ؛ لا ينزل به الطمع ؛ منها تعاظم ؛ الى هذه المنزلة .

الحارث — ليتك نبيٌّ ؛ تعلم الغيب . انما استولت علي البلابل في هذا الليل . ولا أدري بأي شر تحدثني نفسي . فجرح حزني على عبد الله أراه يتجدد . وأمواج الهم ؛ تلاطم صدري .

فيمون — أزح عن فكرك هذه التخيلات ؛ ولا تدع الحزن يستولي عليك .

الحارث — اللهم ؛ أنت تعلم كنين سريرتي ، ودفين طويتي . فقد عضّني الدهر بناب أحد من الحسام ؛ ورماني بسهم ليست كالسهام .

فيمون — الصبر من الدين ؛ مولاي ؛ أفلست أنت الحارث ؛ من تتمثل به القبائل ، بالجلد والدين ، وحسن اليقين ؟

الحارث — إني الحارث ملك نجران ؛ الوية الفخر والنصر كانت ألويتي ؛ فخيم الذل فوق منزلي ، وأمسى العار وكرد بيتي ، والشنار فنائي . كانت ملائكة الهناء تحف بي ، وعرائس الغبطة يتغنين طرباً في حدائق قصري ؛ فأخرج لي سوء طالعي شياطين الشقاء من الجحيم . فعم البلاء ، وزال النعيم ؛ فجعت بأحسن الناس وجهاً ، وأكملهم ظرفاً ، وأفهمهم نطقاً ؛ وأرقهم طبعاً ؛ وأكرمهم شيم أخلاق ... في ليل حالك مدلهم السواد ؛ يحجب ضوء القمر ، فيه تلبدت الغيوم . وجه سمائه عابس ، والأرياح في هبوب ، تهدر العاصفة ؛ فيلمع البرق ، فيزمجر الرعد . فتنقض الصواعق ، فتهطل الأمطار . في فترة من الليل ؛ بينما الناس

يخطئ خطوة الأقدام . سمعت وطء خيل . فهببت من فراشي . ووقفت على الباب . وكانت الخيل قد بعدت . فطرق سمعي صريخ موجع مفجع . كان على صدري أشد من الصاعقة . فحملني على الأرض . وهذا الصوت كان صوت بني عبد الله . هاتفاً : أبي . أبي . قتلني القاتل . فأسرعت إليه . فوجدته يتخبط مشرحاً بدمائه . معفراً بالتراب . فبكيت عليه . منادياً حبيبه . صارخاً : ولدي . ولدي . مضى على ذلك حزن كامل . وكل ليلة مثل هذه الساعة يتمثل لي الشهيد المرعب . فيهتك كمدي . ويمزق أحشائي .

فيسيو — لم يزل حزنك . أبيت اللعن . إلا بعد حزن الجد . وقصر الحياة .

الحارث — ان ما يزيد وجعي . ويضاعف حزني . هو أني وجدت خنجر عبد شمس . في صدر أخيه عبد الله . صبرت . وتجالدت على موت عبد الله : تسليماً للأحكام الربانية : انما ما لا طاقة لي على احتماله . ارتكاب جريمة مثل هذه في بيت الحارث : ومن المجرم إلا عبد شمس ؟

فيسون — انما عبد شمس يقسم : ويحلف : انه بريء من دم أخيه . وأن رجلاً سرق خنجره . واقترف الجريمة : ولا تخلو بيناته من الصحة والصدق .

الحارث — انما طمعه في الملك : وجرأته عليّ : وميله للخوارج : وتغلوه من ابن أخيه : تدل إما على القاتل : واما على شريكه : فلما رأيت ما رأيت فيه من المطامع : حرمته من ميراثي : وأثبت ولاية العهد الى عبد المسيح : تأديباً له : ورودعاً لأمثاله : حتى إذا رأيت منه ما يسرني : رددت اليه حقوقه على الميراث . أما أن أحرم صاحب الحق : وأتنزل له عن الملك في حياتي : فأمر لا يرضي الله : ولا يسمح به الضمير . فقل له يرتدع عن غيه ويعود الى رشده . وإلا طردته ثانية من قصري . فقد أخذت عليه المواثيق : أن لا يخالطن عبد العزى الوثني : نديمي القديم : والآن عدوي الألد .

فيسون — مثل مولانا الحارث يحسن كل عمل يأتيه : ولا يليق في أيامنا هذه ملك على نجران سواك . وأنت تعلم أن ذا نواس : ملك

حير . بعد أن تنصر أعجبه دين اليهود . فتهوّد . ثم رجع إلى عبادة الأوثان . وتعصب للاصنام . وقد شاع ذكره في سائر الأقاليم . وعظمت شركته وأطاعته العباد . وأجابوا دعوته خوفاً من شدة نقمته . والشائع أنه يجهز للزحف على نجران . ليحملنا على الكفر والجحود . وليس أحد سواك كفوءًا لمناصبته فأنت الذي دعاك الله الى نشر النصرانية في هذه البلاد . ويدعوك الى المحامدة عنها .

الحارث يعلم الله حبي للدين . وغيرتي عليه : فقد وقفت حياتي كلها في سبيل الله ، ودينه . وانا أفديه بنفسي وأهلي وكل ممتلكاتي . فمن حين سقطت انا من ملك التبعية أخذت عنك شرائع النصرانية . حتى فقهت فيها فهمت أي هيام في حب الهي . فتذرت له قلبي ، وكل عواطفي وآليت على نفسي أن أذيع دينه في كل مملكتي ، وكل الممالك المجاورة .

فيمون فقهت في هذا الدين ، وفقت من سواك . فظهرت على يدك الخوارق والمعجزات .

الحارث فإن نار محبتي هذا الدين لا تزيد إلا سعيرًا مع الأيام . فاني لا الو جهداً ، حتى تدين بالنصرانية كل القبائل ، كل هذا لا يروي ظمأي . فإن لي ظمأ شديداً ، لا يرتوي إلا بإهراق دمي حباً بمخلصي .

فيمون إن الرب لا يضع عبئاً مثل هذه الغيرة في قلب انسان فسوف تنال ما تشتهي . فقد بثت الرسل في كل الأرجاء ، وهي تأتي بثمار الخلاص . انما حرك الشيطان ذا نواس ، فتصدى لمقاصدك . فأنا أخشاه . فهو رجل قاس عنيد ، متعصب للضلال ، يبغضنا أشد البغض .

الحارث أما أنا فإني لا أخاف البشر ، ولا أتقي غير الله . انما أمر واحد يروعني . وشيء واحد يربط يدي ، ويعرقل مساعي . وهو حمل عبد شمس علي وعلى ابن اخيه ، وطمعه في الملك . وأنت تعلم انه طالما دفع الشعب الى معصيتي ، وخلع طاعتي .

فيمون كن مرتاح البال من هذا القبيل . فإني ضربت له ميعاداً في هذا المكان ، وهذه الساعة . فأنصحه . وهو ينقاد لنصائحي انقياد الولد الى أمه .

الحارث بل إخاله ينقاد الى نصائح عبد العزى ؛ إنقياد الأعمى الى قائده . ومع كل هذا ؛ فإني وضعت ثقتي بك ؛ وجعلت اتكالي على الله . وأما أنا فإني أنصرف عنكما . فإني في حاجة الى الراحة والنوم .

المشهد الرابع

نيرون

نيرون ربي ، إحفظ عبدك الحارث . وخلصه من حبائل إبليس . ونج عبد شمس من دسائس عبد العزى (يسمع صوت) ما هذا الصوت ؟ (ينظر) هذا صوت عبد شمس .

المشهد الخامس

نيرون — عبد شمس

نيرون سبقت مولاي وانتظرت ؛ فما ينتغي مني سيدي ؟

عبد شمس إن أبي شيخ عاجز ؛ لا قدرة له على سياسة الناس ؛ وابن أخي صغير قاصر ، لا خبرة له في تدبير الأمور ؛ فإذا ألقيت الي مقاليد الأحكام ؛ وقبضت على زمام الملك ؛ قمت فيها أحسن قيام ؛ فنهضت بها أتم نهوض ؛ فما رأيك ؟

نيرون حار فكري في أمرك ، يا عبد شمس ، فإنك لا تثبت على رأي ولا يقر لك قرار . أما وعدتني أمس بالرجوع عن غيك ؛ والخروج عن طمعك ؟ فهل صادفك عبد العزى ؛ فأغراك ؟ فاعلم أن البغي وخيم العاقبة ، وشر منقلب ينقلب الطمع . فلا ترجع وتنغص عيش أبيك ، وتكدر صفو أيامه . فتجلب غضب الرب عليك . فما عق ولد أباه ؛ إلا نال جزاء المعقة وبالاً .

عبد شمس أبي حملني على العصيان ؛ اتهمني بقتل أخي عبد الله ؛ فحرمني من حقوق الميراث ، وفضل علي خنيده ؛ عبد المسيح . فإني أحلف أن يدي بريئة من دم أخي .

نيرون أما ساعدت على قتله ؟

عبد شمس والله : ما ساعدت . وما تركت . ولا علم لي بشيء .
فيمون وخنجرك ؟
عبد شمس لا أدري من قصة الخنجر شيئاً . فإن في عدواً يريد تسويد وجهي . وتدنيس عرضي لدى أبي .
فيمون والمنافرة بينك وبين عبد الله ؟
عبد شمس منافرة الاخوة لا تسوق الى القتل .
فيمون وبغضك لعبد المسيح ؟
عبد شمس أبغضه ؛ لأن أبي خصه بالملك دوني .
فيمون وحملك الشعب على الثورة والعصيان على أبيك ؟
عبد شمس هذا لا أنكره . لأن لي حقوقاً أطلبها . حرمني والدي من الملك ، وأية سنة تقضي بحرمان الولد من إرث أبيه ؟
فيمون حرمك : تأديباً لك : وردعاً لعصيانك . لكن إذا رجعت الى طاعته ، يعود الى محبتك ، ويرد لك كل حقوقك على الميراث .
عبد شمس وحقي على الملك ؟
فيمون لا حق لك على الملك مع ابن أخيك .
عبد شمس هل خاطبت أبي بهذا الشأن ؟
فيمون خاطبته ، وكلما قلته لك : قلته لدن أبيك .
عبد شمس فما العمل إذاً ؟ وما الرأي ، وأنا أريد أن أكون ملكاً . ؟
فيمون الرأي والحكمة أن ترعوي عن غيّك فيزول سخط أبيك عنك . ويعود اليك رضاه . فقد جرعته المرائر : وكدرت حياته أي تكدير ونغصت عليه عيشه ، وهو صابر عليك لا يلعن ولا يغضب ، وهو يحبك مثل حدقة عينه .
عبد شمس إن كان يحبني : فليتنزل لي عن الملك .
فيمون إنك لا تدري ماذا تقول ، ولحداثة سنك أعذرك . فمن ألقى في قلبك هذا الطمع ؟ لا يجدر بك مثل هذا الكلام ، بل الأجدر بك ، يا ابن الحارث ، أن تذهب وترتمي على قدمي أبيك ، باكياً تائباً ، وتكون كالخاتم في اصبعه ، فيشملك بحنو الأبوي . فتعيش سعيداً في رضاه . فكر بالشرور التي تجرها على نفسك بعصيانك ، وبالبلايا التي تحيق بأهلك ، ومدينتك ؛ فكر بالعار الذي يشملك ويشمل اسرتك الشريفة ، حين تدل الناس عليك بالاصابع : هذا ابن الحارث الذي عق اباه ،

فلا عاش العقوق ... مثل نعيبك الذل والشقاء . إن اغضبت الله وأباك . فكيف تنعم بالحياة وغضب الرب ولعنة أبيك فوق رأسك ؟ من يمينك انتقام الله . ومن شمالك إزدراء الناس . ورعك أعوان الشر وأخلاك : وأمسك ديمومة الديان الرهيب . وتحت قدميك لجة النار .

عبد شمس ويلاه . لقد اوجعت نفسي !

نيمون اذكر . يا ولدي . محبتي ومحبة أبيك . ولا تقض عليا بذرف الدموع . حياتنا كلها (يضم يديه) : إني استحلفك بدمك الشريف . فناشدتك ان لا تجعل بيت نعز وهناء . بيت الذل والشقاء .

عبد شمس (يتنهد) .

نيمون إني أراك تتنهد يا ولدي . أفلا ترجع ان اهتدى ؟

عبد شمس إني سوف أتبصر بهذا . وأعمل جهدي الى ما يؤول الى رضاك .

نيمون فكر في أمرك ليلتك وراجع نصائحي في ذهنك . وأنا أقضي ليلتي بالصلاة : لعل الله يرأف بك (يخرج) .

المشهد السادس

عبد شمس وحده

عبد شمس إني أشعر بقلبي يخفق : وكل جوارحي تنتفض . فما أقوى كلامك يا نيمون : فكدت تزعزعني عن قصدي ... انما هذا وقت مجيء عبد العزى ... أراه مقبلاً .

(يدخل عبد العزى مسرعاً)

المشهد السابع

عبد العزى — عبد شمس

عبد العزى (عند الباب) أفأنت وحدك ؟

عبد شمس أنا وحدي فادخل .

عبد العزى لولا هذا المفتاح والباب الخفي : لما تمكنت من الوصول اليك في هذا القصر . أما نجد محلاً غير هذا للمداولة ؟

عبد شمس ابقَ هنا . فلا خوف عليك . فلا أحد يرانا . ولا أحد يسمعنا .

عبد العزى قل لي إذاً عاجلاً : ماذا صنعت ؟ فهل يتنزل ذنب الملك الحرث عن الملك . ويرجع اليك ما أنت جدير به . وأهل لـ ؟

عبد شمس حسف أبي الحارث ألا يتخلى عن الملك . وفيه روح .

عبد العزى أن ما شغلني شك بهذا . فكيف يملك الحرث على نجران عبد شمس ، وما هو عنده إلا قتى عتوق قاتل أخيه . جد ن . متقلب . مبغض للنوبه ؟ فعبد المسيح الحبيب . عبد المسيح العزيز . عبد المسيح صاحب الحق .

عبد شمس فما النصيحة ؟

عبد العزى أتريد أن تكون ملكاً على نجران ؟

عبد شمس وكيف لا أريد ؟ نعم أريد . وعن قصدي لا أحيد .

قصدت فلست عن قصدي أحيد ... أريد الملك يا ربي أريد
أريد الحكم يوماً في حياتي ... فحب المجد في قلبي شديد
أترقى الى العُلى بكل جهدي ... وناز الشوق في بدني تزيد
فيوم واحد بالعز يسمو ... كنوز الأرض والناس شهود
شهيد الدين محفوف بمجد ... شهيد المجد في الدنيا يسود

عبد العزى ينال المجد يوماً عبد شمس ... كما قد ناله البطل الفريد .

عبد شمس فما العمل وما التدبير ؟

عبد العزى العمل إما أن ترجع عن قصدك السامي ، وتنزوي في زوايا النسيان وتعيش كآخر الناس . لا مجد لك ولا شرف . وإما أن تتدرع بدرع الشهامة وتلبس مجن الجسارة ، فتركب الأخطار ، وتقتحم الأهوال . وتهجم هجوم الأسد على فريسته ، مجتدلاً كل مانع ينتصب أمام وجهك ليحول دون مرامك واطئاً بنعليك كل العواطف القلبية ، والاحساسات الحية . متجرداً عن الطبيعة البشرية . أفهمت ؟

عبد شمس إليك عني يا وحشي الطباع ، فإن قصدك إغرائي . أتريد أن ألطخ يدي بدم أبي ؟ فما دام فيّ نقطة من دم أجدادي لا أجعل دم أبي على صدري ولا أمنع الحياة عمن أعطاني الحياة .

عبد العزى هذه شهامة بني تامر ، فما أكرم طباعك . فوحياتك ، ما خالج فكري قط ، أن أحملك على قتل أبيك .

عبد شمس ما بغيتك إذاً مني وما مقالك ؟

عبد العزى بغيتي أن أدلك على الطريق التي تؤدي بك الى العز ، وتوصلك الى الملك .

عبد شمس وما هي الطريق ؟

عبد العزى هي طريق حمير ، فقد أسرجت الجوادين ، وهيأت كل ما نحتاجه للرحيل ، فما لنا إلا أن نركب الخيل في ظلام الليل . ونفر هاربين الى ذي نواس ملك حمير . فنستنجده على أبيك . فينجدك لا محالة .

عبد شمس إن نفسي الكريمة لا تطاوعني على هذا . فيقال عني ان عبد شمس ، استعان بملك كافر ، فحارب أباه ، ودمر بلاده ، وقتل شعبه . فهذا الذل والهوان .

عبد العزى (بتكلم) صدقت يا كريم الطباع . ذل على ابن الحارث أن يستعين بأشرف الملوك ، على استرجاع حقوق ، اختلست منه جوراً . هوان على عبد شمس ، أن يستنجد ذا نواس على أب يبغضه ويكرهه كما يبغض العدو عدوه ، عار عليك أن تصون عرضك وتدافع عن شرفك ، وقد أصبحت أحدوثة على أفواه الناس . اتهموك بأخيك وأنت بريء ، حرموك الميراث بغضاً واحتقاراً . عش بينهم بالعز والحياء واسمع كل يوم ما يقال عنك : هذا القاتل أخاه ، هذا العاق أباه ، هذا المحروم ميراثه ، تصبر على هذه وتقول إنك كريم النفس عزيزها ؟ !

عبد شمس كفاك توبيخاً . يا هذا ، فيدي بيدك ، وأنا ذاهب معك الى ذي نواس .

عبد العزى أأنت بكلامك ؟

عبد شمس ثق بكلامي .

عبد العزى الآن عادت اليك الشهامة والمروءة ، فاسبقني الى الجوادين ، وأنا أخرج من الباب الخفي لئلا ترتاب بنا العيون .

الشهيد الثامن

لعبد العزيز البشير

ما احلى أخذ ثأري بيدي ! فودع حياتك يا حارث . فطالما تاقت نفسي الى إهراق دمك . فإن نجح المسعى فيا لغبطتي ! وإن طاش سهمي . فلا آسف على الحياة .

فاليوم أتاح لي القدر درك ثأري . وارواء غليلي ! آه إن دمي يفور في صدري ! ويصعد الى قمة رأسي . كلما ذكرتك يا حارث . فقد صيرتني أحدوثة على أفواه الناس . وكنت حاحلك المقرب اليك . فرأيت ليلة حاملك الذهبي فاعجبني وحسنت نفسي بأخذه إلا أن نيتي كانت صافية لك وبينما أنا أكتب ذات ليلة كتاباً الى ذي نواس . أشيع فيه عليك وأكرمك وكنت أنت هناك تراقب حركاتي وسكناتي . وأنا لا أدري شيئاً . فمددت يدي الى الحبر وإذا يد أثقل من الحديد على عاتقي . فأخذتني وأودعتني سجناً مظلماً ووسمتني بسمة العار . وطبعت على جبيني بأحرف من نار : خائن !.. — لقد حلفت بالأبالسة وأقسمت بالشياطين . بأن أستعين عليك بقوات الجحيم . لأنتقم منك شر إنتقام . فإن نجوت من ضربتي فإني لا أزال أسعى فيك عند ذي نواس ، حتى أهلكك أنت وشعبك . وسلاحي يكون ولدك . فإني ألعب فيه كما تلعب الرياح بالأوراق : فأنا الذي قتلت ابنك عبد الله بخنجر ولدك عبد شمس ، ليكون وجعك أمرّ ، وعذابك أشدّ . فقد حلفت بأن أبيدك أنت ونسلك إنتقاماً منك يا حارث .

تقول الناس ما أقوى ... وأحلى لذة الحب
لقد ضلوا ، فما أحلى ... شديد البغض في القلب
فاسمى الخلق عندهم ... تكون فوارس الحرب
وأسمادهم غدت عندي ... رجال القتل والنهب
فأخذ الثأر معبودي ، ... فثأري قد غدا ربي .

(تطفأ الأنوار بغتة لما يطفئ عبد العزى مصباحاً على الطارمة ويتقدم الى غرفة الحارث . فترى ما يصل الى الباب يضيء المسرح بنور كهربائي بعد أن يسمع صوت) : أنا هو الطريق والحق والحياة فمن يتبعني لا يمشي بالظلام . (يقف عبد العزى متحيراً فيفتح فيصيح على الباب ويصرخ بصوت قوي) الى الوراء يا خائن . (فيهرب عبد العزى مذعوراً من المسرح) .

نيمون على القاتل على القاتل .

الحارث (يخرج من غرفته بثياب النوم) من القاتل ؟

نيمون عبد العزى الجاحد .

(يحمل عبد المسيح مصروعاً ويرتمي بين ذراعي الحارث) .

عبد المسيح إي جدي ، إي جدي ، من الشقي الذي يريد قتلك وأنت أحسن الناس .

(تسمع الحراس ونيمون زهير)

زهير اتبعوا القاتل . اتبعوا القاتل (خرج احد)

زهير كيف دخل الى هنا عبد العزى ؟

نيمون لا جرم أنه يعرف الباب الخفي .

الحارث وعبد شمس لم يكن معه ؟

نيمون لا .

(يدخل جندي)

زهير ما وراءك يا هذا ؟

مالك نجا القاتل من الباب الخفي وتسلق الجدار وركب جواداً يسابق الريح سرعةً ، وتبعه فارس آخر ، وبلحظة عين غاب عن العيان .

نيمون ومن الفارس الآخر ؟

مالك لا أدري .

الحارث ويلاه إن كان ولدي !

(ستار)

الفصل الثاني

عند ذي نواس

(في هيكل اللات صخرة كبيرة حمير حولها وقار شعلة)

المشهد الأول

(كبير الكهنة مالك يطوف حسنة والكاهن يالغريف الأحمر والأولاد ناصبة يطوفون حول الصخرة ويغنون على سبع مرات وكل مرة ينشدون شعراً).

إنا اختلفنا فنصب الرماحا ... إن لم تقله فر القداحا
قولوا نرحنا ودعوا المزاحا ... قولوا أسأنا واطلبوا السماحا
جانا عدو يقصد النواحا ... ندبت ربي فقضى وراحا
وافت جيوش تملأ البطاحا ... فيها رجال تشبر الرماحا
تعلو جياداً تسبق الرياحا ... قامت نساء تسمع الصياحا
نادى مناد فدعا وصاحا ... كونوا عبادي واصنعوا السلاحا
إنا اختلفنا فنصب الرماحا ... إن لم تقله فر القداحا

(يركع الأولاد كل ثلاثة من جهة حول الصخرة)

عبد المناة — ادعوا ربكم : يا صبية حمير ، فإن ملكنا ذا نواس آت ليحضر العيد ، ويسمع ما يوحي اليه المناة إله حمير وسيد الآلهة وربها . فإن في كل سنة في مثل هذا اليوم يوحي اليه الغرائب والعظائم . ادعوا المناة المشتهر يا آل حمير ، نادوا بصوت صارخ فعسى يظهر .

الصبيان — نشيد —

يا مناتي يا منايا ... يا كريماً بالعطايا
اقبل عطر الهدايا ... واستجب يا رب حمير
يا قديراً بالبرايا ... يا عجيباً بالمزايا
يا عليماً بالخفايا ... بالنوايا أنت أبصر

عبد المناة — انهضوا وابشروا يا عبيد المناة ، وأولاد اللات والمناة ، واللات والعزى إن قدحكم فائز . وبالنصر حائز . فالسعد يخدم ملكنا حيثما سار . والأقدار تمهد له سبل الإنتصار . فيسود على

كل الأمصار والأقطار — والمناة المعبود والنار ذات الوقود إن ذا نؤاس يسود على النصارى واليهود فانشدوا المديح بصوت صريح للإله الصحيح .

النصيان — نشيد —

إقبل منا ثنانا يا رجانا ومنانا
دمت رباً في حمانا من دعاك اليوم ينصر

عبد اللات ولكن فخرجوا الى حديقة الهيكل واحملوا اليها الزهور وسعف النخل لاستقبال الملك النعمي فإنه عن قريب يحضر .

المشهد الثاني

عبد اللات وعبد المناة

عبد اللات ما أشد غيرتك على صوالح الآلهة يا عبد المناة !

عبد المناة أنت في غرور : يا عبد اللات : بل قل ما أشد غيرتك على صوالحك فانا ما بلغ بي الحمق الى أن أعبد صخرة عجماء . أو شجرة بكماء .

عبد اللات ولماذا تنام ليلك : ولا ترتاح نهارك . كلما بدا طالع هذا العيد تزين الهيكل بالأزهار . وتنيره بالأنوار . وتلتئم النصيان بديع الالحان .

عبد المناة تراني أعبد بظاهر التدين على ذي نؤاس والناس . فيسمو مقامي : ويعلو شأني .

عبد اللات لذلك رفعك ذو نؤاس الى اسمى مقام . فجعلك كبير كهنة المناة . وفوض اليك أمر الذبائح . وأسرار الغيب . فقمت بهذه المهمة قياماً لا يعادل . وفي كل عيد : توحي اليه عجائب وغرائب .

عبد المناة أما اليوم فإني أستعين بك على الوحي . فانك تهبط بعد الذبيحة الى المغارة من منفذ لا يدري به أحد سواك . فأسألك . فتجيب بكل ما يسر ذا نؤاس . وكن نشيطاً باختراع الأكاذيب .

عبد اللات اعتمد علي . فإنك سوف ترى مني شيطاناً يدهش الأبصار وكبير الأفكار .

فنون المكر في صدري ومكري إنما مكر
فصوني من وراء الستر وليلي مظهر قدري
بفن المكر والغدر
فويل الأنس والجن إذا ما حاقهم فتي
ويا ويل الملاعين إذا لم يسألوا عني
فمن يدري الذي أدري

عبد المناة كفى . فإن رجلين داخلين علينا . واحدهما عبد العزى صاحبنا القديم . والثاني فتى عليه سمة الأشراف ، وسمة أبناء الملوك .

المشهد الثالث

عبد المناة — عبد اللات — عبد العزى — عبد شمس

عبد المناة أهلاً بالوافدين . ومرحباً بالقادمين ، أتيا الأهل . ووطئتما السهل . فمن أين كان قدومكما الميمون ؟

عبد العزى قدمنا من نجران . فعبدك : عبد العزى ، تشرف قديماً بمعرفة شخصك المسعود الطالع .

عبد المناة والفتى الشريف ذو الوجه الوضاح . والجبين الوضيء والأعين الوقادة النفاذة ؟

عبد شمس عبد شمس بن الحارث ملك نجران.. هجرت الأهل والأوطان وجئت مستنجداً ذا نواس ملك حمير من ظلامة الحقت بي وجور داهمني وقد هداني اليك عبد العزى ، صديقي الأمين ، لتنجدني لدى الملك فأتيتك مستغيثاً ، مستجيراً .

عبد المناة إنا نجيرك وننجدك ، أيها الفتى ، فذو نواس أبى إلا إغاثة ملهوف . وانجاد مظلوم . فما الظلامة التي وقعت فيها ؟

عبد شمس حدثت مناقشة ومنافرة بين أخي الأكبر وبيني . فرماه أحد النصارى بضربة صائبة . كانت القاضية عليه . فحرمني أبي الملك من الإرث والولاية وخصها بابن أخي .

عبد المناة ساء فعل أبيك . فكان عليه أن يتروى بالأمر . قبل بت الحكم وجزم القضاء . فهذا جور منه . وعليه تعود مغبته . ونحن ننجدك من أبيك . ومن كل من يعاديك . انما بأي الأديان تدين ؟

عبد شمس أنا على دين النصارى .

عبد اللات أنت نصراني وتطلب النجدة من يدعوهم قومك كفرة وجحدة وعبدة أوثان ؟ !

عبد العزى إنما رأيه فيكم سيدي يخالف رأي قومه . فليرد يحلكم أحسن اجلال .

عبد المناة أقلت تدري أن ذا نؤاس أكره شيء اليه دين النصارى ولا أذل عنده وألام من نصراني وقد آل بالمناة واللات والعزى . آختنا العظام انه ليصبغن الأنصاب بدم النصارى ويمحوا آثارهم من البلاد العربية . فلا إخاله ينصر نصرانياً .

عبد شمس فما العمل إذاً ؟ فهل أعود من حيث أتيت . خائباً . خاسراً . وقد علقت في ذي نؤاس حبال آمالي ؟

عبد المناة اما أن تقيم على دينك : وتتقبل راجعاً الى بيت بيث بلا مدد : واما أن تكفر بدينك ، وتعبد المناة فسدك بالعدد ، والمال والرجال .

عبد شمس إنك تسومني خطة الذل والهوان ، وتكلفني ما لا تواطئني عليه مروءتي ، وتأباه شهامتي . فنفسي الأبية تأبى الكفر بالدين ، وعبادة الأصنام .

عبد اللات لقد جدفت يا نصراني ، وسوف تنال جزاء تجديفك . فإن لم تكفر بالسجود فبإهراق دمك .

عبد العزى تلك كلمة فلتت ، منه فاصفح عنه ، سيدي .

عبد المناة أنا ذاهب للقاء الملك . فإن الوقت قد فات . فإليك أسلم أمر الفتى فإن أقنعته بعبادة آلهتنا العظام ، آسيناد بأنفسنا ، وندياد بأرواحنا . وإن أبى إلا الاقامة على الكفر والتجديف ، خذلناه .

المشهد الرابع

عبد العزى — عبد شمس

عبد العزى يا لها كلمة فلتت من بين حنكيك . فكانت من جالبات الطامة الكبرى عليك .

عبد شمس فما الرأي ؟

عبد العزى لا رأي إلا الكفر بدينك ، والسجود للمناة . وإلاّ هلكت واهلكتني معك وذهب الملك من يدك ، وضاعت اتعابك ،

وشمت بك الاعداء ، وأشاعت عنك الاراجيف : وقالت : ذهب عبد شمس الى ذي نواس ليستنجده على ابيه ، فما انجده وقال : بما انا بمنتصر للعنصرق . وتتله جزاء معتقه فتسمت ذبيحاً ، وتمثل فيك الناس ، وانت الذي سعيت حياتك وراء المجد والعز . فيوصلك وفضلك هذا الى دركات الذل والدناءة .

عبد شمس خدعتني يا عبد العزى ، وقد اتخذتك ارقى صديق لي ، وكنت صاحب سري ومالك ثقتي ...

عبد العزى بابي انت وامي ، مولاي ، واللات ما خدعتك . ولا ظلمتك فمن ساواك بنفسه ما ظلمك .

عبد شمس اما من حيلة وما من وسيلة غير الكفر ؟

عبد العزى لا حيلة ولا وسيلة غير الجحود .

عبد شمس اخرج عني ، ودعني وحدي .

عبد العزى فكّر في أمرك مولاي ، ولا تدع فرصة المجد تفوتك .

المشهد الخامس

عبد شمس — ثم عبد العزى .

عبد شمس « لا تدع فرصة المجد تفوتك » ! — آه اني احس بانفاسي تختنق ، وكادت نفسي تبلغ التراقي . قليت نار جهنم باحر من لهب يتلظى في فؤادي . كأن أبي لعنني اليوم ، وكأن غضب السماء انتظرني الى الآن . فاني اسمع صوتاً من السماء ، هاتفاً : يا قابين ، أين أخوك ؟ فإن دماء اخيك صارخة اليّ من الأرض ، فعبثاً تحاول تبرير نفسك ، فعصيانك اباك حمل اصحابك على قتل اخيك . انزل الى دركات المعاصي فقد تطوّحت في مهاويها . ما بال البلابل تمايل عليّ ، فتدفعني في لججها ؟ .. هذه يدك يا الله فما أثقلها ... فان نار جهنم استعرت في قلبي قبل موتي . فانا ابن اللعنة والهلاك . اليك عني ايتها النار . الى الوراء ايتها الأبالسة ، هذا ابي فانه صارفٌ وجهه عني ، ورافعٌ يده الى الله ليلعنني ، والله ماسكٌ في يده الصواعق ليضربني . اين المهرب ؟ اين المفرّ ؟ (سكوت مدة ، ثم يرجع الى نفسه) . اين انا ؟ ... انا بين الذل والعز ، بين

الموت وحياة . بين الكفر والملك . فما العمل ؟ فهل أبقى على ايماني ، وعبش ذليلاً مرذولا ؟ ام أجحد ديني فاصبح ملكاً عزيزاً ؟ ؟ ؟

ما حيرتي حار فكري والتوت سبلي . فالعقل في ريب والقلب في وجل
هذا يقول اني ان كنت بلغه يوماً جحودي وكفراني . فواخجلي
يا عبد شمس لقد اذلت اسرتنا : خلفت شأنك بين الناس والملل
اني كفرت بدين الرب متبعاً ميلاً يورط في العصيان والخلل
ما الفل الكفر في نفس التقى ثلماً فالكفر افقل اثقالاً من الجبل
فرحة الكفر في الدنيا عدت متلاً ما اقبح الكفر والعصيان في الرجل
لكنما العيش تحت الذل منقصة فالذل اقبح ما يشاه من علل
والموت اطيب من عيش بلا شرف والفقر موت شديد الرعب والوجل

عبد العزى (يأتي ويضع يده على كتف عبد شمس) .
اين يأسك يا اخا الابطال ؛ وايا الاهوال ؟ ما هذا اليأس : وما هـذا التردد ؟ فمن رام مراماً سامياً ؛ ونكص واجماً على عقبه : فليس برجل . وانت مرامك المجد والشرف . المجد المجد وما ادراك ما المجد فلا ينال المجد الا الجسور .

عبد شمس آه يا عبد العزى ؛ لو كنت تدري العوامل التي تتنازع نفسي .

عبد العزى تشدد وكن رجلاً وانبذ وراء ظهرك القلق والجزع ؛ فيا ان الملك آت .

(يسمع نشيد الغيان ، امام ذي نواس خارج المسرح) .

المشهد السادس

(الملك ، عبد المناة ، عبد اللات ، القواد ، عبد العزى ، عبد شمس والغيان الخمسة بأيديهم القيثارات تنشد الاناشيد) .

ذو نواس (بلمة الصخرة بالسريق) — ايها الاله السامي اقبل خالص اكرامي .

عبد المناة يا إله حمير ايد شوكة مليكنا العالي .

ذو نواس اسألت قداحك يا عبد المناة ؟

عبد المناة دامت ، ايها الملك القدير ؛ سعودك . وخفقت على الخافقين

بنودك . وسطعت في الفلك النصراني نجومك . وبلغت الى اقاصي الدنيا احكامك ورسومك . ابيت اللعن . مولاي . ولا عرائك ذم . فقد خرج لك من القداح اسماها واعلاها ؛ فكان طالع السعد طالعك ؛ ونجم التوفيق نجمك ؛ وراية النصر رايتك . وبعد الذبيحة اسأل المناة فيوحي اليك عنها ما أوحى الي سرًا . وهذا وحي الاله — ذو نواس ملك الناس ؛ لا حد لملكه ولا قياس . وقد سلطته على نجران وبلاد اليمن ودولة بني غسان .

ذو نواس — وانا انذر لرب حمير ان نصرني في حربي وامكنني من ابسوغ الى مأربي ؛ ادخلت في دينه كل بشر ؛ ومن ابى قدفته الى النار .

عبد العزّى — ايها الملك . دام عزك . واشرقت على المشرقين شمسك . إن عبدك الحارث ملك نجران ؛ الذي كتبت لك مرارًا عنه . زاد في بغيه وعدوانه ؛ فقد ركب الشطط ؛ وكان الجور مطيته . فبغى وطغى واستبد في الملك ؛ وتمرد وسار بغير الحق والهدى . فعاث مرحاً في البلاد ؛ وظلم العباد . فجئنا نستظل بظلك . ونستجير بحلمك .

ذو نواس — لقد أفسد عليّ الحارث اهل بلدي ؛ وخالف ديني ودين آبائي وما كنت لأصبر على ذلك . فبشروه بعقاب اليم . فسوف نحل عليه نقمتي .

عبد العزّى — وقد بلغ به الكبر والعتو فظلم ابنه عبد شمس . وحرمه من ميراثه . والمحروم امامك . اتى يستجير بك على ابيه ...

ذو نواس — ابن الحرث النصراني ؛ وهل ينصر ذو نواس نصرانياً وينجد مسيحياً ؟ ...

عبد العزّى — وان ترك دينه ؛ ودخل دينك ؟

ذو نواس — اتكفر بمسيحك وتعبد رب حمير !

عبد شمس — اقلني من الكفر ايها الملك . واعتقني من الجحود . وكن انت على دينك دين آبائك . واكون انا على دين آبائي .

ذو نواس — ان تجحد تنصرك . وان تصر على دينك تخذلك .

عبد شمس — لا يطاوعني لساني على الجحود . ونفسي لا تواتيني على الكفر .

ذو نواس — اتيت هنا اذًا تسخر مني ! فانصرف مخذولاً من امام وجهي . والمناة لاجعلنك سخرية بين العرب والعجم . ولامثلن بعذابك تمثيلاً .

عبد شمس — لست رجلاً يرهبني التهديد . وجئت اليك لأستنجدك لا لأشركك في ديني .

ذو نواس — إن ما سألتني اني الوعيد محبتي لك . والمناة . لأنت أعز عندي من ولدي . فقد حررتني بحسن شمائلك . فدخل في ديني . وكن ابني الوحيد . فتكون لك كل مملكتي من بعدي ... (سكوت) .

عبد العزّى — ما اسمى حظك يا عبد شمس ... فقل الكلمة .

عبد شمس — اي . عبد العزّى : ألا تدري اني سهم نافذ في صدري .

عبد العزّى — دع عنك الوساوس الشيطانية . والخزعبلات الصبيانية . فإن احببت ان تكون ملكاً . ثم ملك حمير فاعبد اللات والتم الصخرة (سكوت) .

ذو نواس — ما لك ساكتاً . افتعبد اللات ؟

عبد شمس — (يحني رأسه ويكرر سكوته ويبقى جاثياً امام الشمس) .

ذو نواس — طب نفساً وقر عيناً : والمناة ؛ واللات ؛ والعزّى ؛ انا نجدك على ابيك . ونذلك على نجران . فتكون أنت وقومك في ديني وتقيمون على طاعتي . (الى الجنود) . طالما تاقت نفسي الى القتال والحرب . فقد اتسع المدى ؛ وانفتح المجال . فانا نزحف على نجران ؛ ثم على النعمان ؛ ثم على بني غسان . ثم لكم الدنيا بمشرقها ومغربها . امّا الآن فهيّا الى الذبيحة .

المشهد السابع

عبد شمس وحده

عبد شمس — مابي ؛ وبماذا اشعر ؟ فإني احسّ كأن الجبال على ظهري ؛ والنصال نافذة في صدري . وابي يصوّب عليّ لحظاً أمضى من سيف ذي حدّين . واسمع كلاماً كالسهام . وصوتاً كالموت ... يا جاحد ، يا كافر ، كيف جحدت ربك وكفرت بدينك ؛ يا ابن الحارث ؟ فما امرّ مهاز الضمير واحر منخذه ! — آه ، لو درى الناس مرارة المآثم ، لما ارتكبوها . آه ، على ايام صباي ما كان احلاها ، وما اشهاها . حين كنت اتقي الله ، واعبد المسيح ، إله آبائي . ما أحلى الايمان ، وما أمرّ

الجحود ... ما كان أسعدني ؛ حين كنت اصحب ابي الى البيعة ؛ كل يوم ؛ وما اشقاني . وما أتعس حظي اليوم . وقد كفرت بربي ... كنت قبل اليوم اعتز تيهاً ؛ وارفع الى السماء جبيناً وضّاحاً . لا خجل يعتريني ؛ ولا وجل ؛ والآن صرت أخجل من نفسي مطرقاً برأسي الى الأرض . واصبحت ولا شيء أذلّ مني في عيني (سكوت مدة) . ما بالي أدع نفسي فريسة الأحزان والبلابل ؟ فما ذلك الا دليل العجز والتقصير . خطرت اول خطوة في سبيل المعاصي فكانت جرّارة ؛ وبلغت بي الى قعر الغاوية . كان ما قد كان ... فلن ارجع الى الوراء ابداً . فاليك عني ايتها الوساوس ؛ فلا يثنيني عن عزمي غير الموت .

حكم القضاء بما جرى ... واحكم ماضٍ لن يردا
فلقد حلفت بربهم ... ولقد قصدت اليوم قصدا
لا أنثني عن خطتي ... حتى انال علىً ومجدا
وأبي يراني حاكماً ... والي تاج الملك يهدى
بيني وبينك يا موتا ... وسما قد جعلت الموت حدا

(ستار)

الفصل الثالث

احضار في قلعة اليمين في سجد الحارث .

ايتينة العذراء .

المشهد الأول

(عبد المسيح والصبيان النصارى)

(يفتح الستار فيرى خمسة صبيان مع عبد المسيح جاثين على الركب امام ايتينة العذراء وعلى ذراعها الطفل يسوع . يسمع من بعد نشيد في معسكر ذي نواس — سكوت مدة دقيقة في المسرح وفي هذه المدة يسمع النشيد من خارج عن بعد) .

عبد المسيح (والصبيان ينشدون) :

ارفعوا الصوت ونادوا ... واهتفوا سرا وجهراً
اي يوم يا الهي ... ترزق المظلوم نصراً

صلوا الى رب العلى واشهدوا على رأس الملا
زجر الشذى من العدى يوم الردى يا ربنا
استجب صوت الفنا اعطنا خير المنى
فيك نحظى بالمنا فاقتبل منا الثنا

عبد المسيح (بعد صمت) — ليت الله يسمع دعاءنا ويستجيب ابتهالنا. فإنه قال من افواه الاطفال والصبيان اصلحت تسابيح كما سمعت مراراً من جدي الحارث فقد بعثنا الى هذا المعبد للصلاة لعل الله ينصرنا على اعداء ديننا. فامس انتصرنا طلوع الشمس وعند المساء كانت النصرة للأعداء وهذا الصبح اما انتقال رجالنا. ولا ندري كيف تدور الدوائر. وجدي الحارث في حيرة وارتباك.

صبي لماذا زحف علينا ذو نواس بعسكره الجرار: وحاصرنا ولا يزال يضايقنا من شهرين؟

عبد المسيح ذو نواس يكره دين المسيح. وقد حلف ان يصبغ الانصاب بدم النصارى إن لم نعبد آلهته الكذبة.

الصبيان تباً له من كافر ظالم!

عبد المسيح فلما بلغ ابواب المدينة: وشدّد الحصار بعث رسولاً الى جدي يقول له. إن تترك انت وشعبك دينك وتعبد آلهتي: وتدخلوا في طاعتي: أرفع عنكم الحصار واترك لكم الحرية. والسلام.

الصبيان ياله من كفر مريع!

عبد المسيح فأجابه جدي: افعل ما انت فاعل. فلا يزحزحنا عن ايماننا العذاب! ولا يزعزعنا عن ديننا الموت.

الصبيان يا لشهامة الحارث! فليحيى الحارث! (يدخل الحارث).

المشهد الثاني

(الحارث والصبيان وعبد المسيح)

(يلعب الصبيان يقبلون يد الحارث ثم وعبد المسيح).

الحارث حل توسلم الى الله بحرارة النفس، وخشوع القلب، حتى يخلص الشعب والمدينة من ايدي المحاصرين؟.

عبد المسيح اهطلنا الدموع . وذرفنا العبرات . واصعدنا الزفرات والتنهدات الى الله فعساه يرحمنا .

الحرث لقوا بالله يا ابنائي : فصلاة النفس الطاهرة لا ترد . وبتهل القلب النقي لا يخيب .

عبد المسيح مولانا : أما يسمح لنا أن نحارب نحن ايضاً ؟

الحرث (يبتسم) — انتم تقدرون على الصلاة . ولا تقدرون على القتال .

الصبيان نصلي ونقاتل .

الحرث نحن نستغني عن اذرعكم : ولسنا بحاجة الا الى ابتهالاتكم .

الصبيان دعنا نحارب فترى فعلنا في عدونا .

الحرث . تموتون في ساحة القتال .

الصبيان نموت فدى عن الوطن والدين .

الحرث الا ترهبون الموت وانتم في زهرة العمر ؟

الصبيان نحن ، بني تامر : عرب ونصارى ونرهب الموت !

الحرث ما اسمى شهامتكم : واحلى نخوتكم . فاذا فتح ذو نواس المدينة وعرض عليكم النار وقال: اجحدوا دينكم والا فالنار : الا تجحدون ؟

الصبيان نحترق بالنار ولا نجحد .

الحرث انما الموت امامكم ، يا اولادي .

الصبيان ما احلى الموت حباً بالمسيح .

عبد المسيح (يترنم) فما احلاك في القلب ايا موتي فدا ربي

الصبيان (تردد) فما احلاك في القلب ايا موتي فدا ربي

عبد المسيح الى الاحباب حنيها تموت بحب فاديها

فما اسماك من موت وما ابهاك من حب

الصبيان (تردد) — فما احلاك ...

عبد المسيح ايا ديناً سما قدرا الا امنح جمعنا النصرا

بنو الانسان تفديك وتفديك بنو العرب

الصبيان (تردد) — فما احلاك ...

الحرث اني اثني اطيب الثناء على محبتكم للمسيح الرب ، يا صبية العرب . أما الآن فاذهبوا الى مستشفى الجنود . وضمدوا جراح المصابين بالحرب . واعتنوا بالمرضى .

الصبيان اننا نذهب فرحين لخدمة شهداء المسيح .

المشهد الثالث

الحرث وحده

الحارث مه اصبر نفوسكم ، واصبر قلوبكم . واهنأ حياتكم . ربي ، ألا تعلم عن المدينة حباً بهؤلاء الاطهار ؟ من شهرين يحاصرنا ذو نواس ، وبضايقنا لفتح المدينة وقد ابلت رجالنا بلاءً حسناً . وجاهدت اسمى الجهاد . فانتصرنا في مواقع عديدة . فيا لتقلب الأحوال . فبعد أن فتحنا صباحاً . غُلبنا مساء . والآن صرت حائرًا في أمري . ولا أدري أي مصير مصيري . فأعظم رجالي بدت في حومة الوغى . وضعفت قوة جيشي . واشتدت الفجاعة في المدينة . وانا اصبحت كالسجين في قصري . فلا أخرج منه . فان خرجت الى السهل رأيت الحقول مغشاة بجثث القتلى واشلاء رجالي جزر السباع . وان خرجت الى المدينة . سمعت الصراخ والعويل والهتاف من كل صوب : خلصنا يا حارث . نجنا يا حارث . وقى لصوت الثكلى : اشفق على الأرامل . ارحم اليتيم ، يا أبا الأيتام والارامل . فما العمل ؟ فقد سيرت الرسل والرسائل الى قيصر الروم . ونجاشي الأحباش ، ولم يصل منهم أحد . فهل نتابع القتال فنفنى عن آخرنا ، أم هل اسلم المدينة الى العدو ؟ لا اسلّم شعبي الى كافر فيفسد علينا ديننا ويحملنا على اتّباع دينه . ربي حرت في أمري . فارشدني الى الصواب ، ولا تبتعد عني في يوم شدتي . ولا تسلّط عليّ الهموم والغموم . فأنت عالم ان لا بغية لي إلاّ رضاك . ولا منية لي إلاّ تعزيز دينك القويم . وتمجيد اسمك القدوس . فما حربنا الاّ للدفاع عن ديننا المقدس ، فلا تخذلنا ولا يكن لنجران إله سواك ، يا رب الجنود . اضربني بما احببت ، وامنع غضبك عن شعبي . فان قدرت لنا الموت ، شهادة للدين القويم ، فجميعنا ذبائح تقرّب لك . وان قدرت لنا الحتف ، تحت ظل القساطل ، وسط المعامع ، فنحن جنودك نحارب في سبيلك . اني أسمع وقع اقدام ، فهؤلاء القواد اتوا للمداولة ، فامنحني ، يا رب ، قوة وفصاحة ، لالقي البسالة في قلوبهم.

(يدخل القواد وبيمون وعبد المسيح . يحيون الملك بالسكوت ويعطفون) . .

المشهد الرابع

الحارث – زهير – يمين – هاشم .

الحارث أبناء نجران ان الشمس طالعة تهدي الينا شعاع النصر والظفر
أمس انتصرنا طلوع الشمس في سحر يا طلعة الشمس ما احلاك في السحر
جرلوا بابصاركم في السهل ناظرة بحرًا يموج بامواج من البشر
هذي جيوش العدى جاءت تحاصرنا تنقض في العسكر الجرار كالمطر
يا ذا نواس اتيت اليوم تغدرنا غرّتك نفسك يا مغرور فاقتصر
إنّا بنو تامر والناس تعرفنا اسد النحال فلا تخشى من القدر
نبري العداة غداة الطعن ماضية ً نفري الرقاب فكن منا على حذر
بالأمس كان لنا نصر بلا تعب واليوم ننهر اعدانا بلا خطر
لا ترهبوهم فان الرب يعضدنا كروا عليهم بقلب قدّ من حجر
شدوا عليهم باسياف محددة يا طالما لمعت في كف منتصر
إنّا ندافع عن دين المسيح فما أسمى الدفاع واحلى الدين للبشر
موتنا ولهب الحرب مستعر ، في حبه ظفر اسمى من الظفر
ما اسعد الحظ لو كانت شهادتنا للدين تكمل في سفك الدم القطر

يمين نحن رجال الحارث ، وما منا جبان . غير ان قوتنا ضعفت . ورجالنا بادت .

الحارث إنّا نجاهد في سبيل الله حباً بالمسيح ، وحفظاً للدين الصحيح فلا يخذلنا الرب . ثم اني سيّرت الرسل والرسائل الى قيصر الروم ونجاشي الاحباش فما هي الاّ ايام قلائل ، فتأتينا النجدات وإن لم يأتنا مدد نموت شهداء في حومة الوغى ولا نُسلّم الى الملك الكافر . فيا طالما تاقت انفسنا الى الاستشهاد . فكرّوا على العدو ، ولا تفرّوا . فعلى الجبان عار الدنيا ، ونار الآخرة . وللشجاع مجد الدارين .

زهير إنّا ندافع عن الوطن والدين حتى ننفي عن آخرنا .

الحارث فما غزا ذو نواس مدينة وفتحها الاّ حمّل سكانها على الدخول في دينه الجديد ، مخيّرًا اياهم بين الكفر والنار . وانتم يا سادة العُرب ما تختارون ؟

الجميع الموت ولا الجحود .

هاشم الموت في لهب النار ولا الحياة في الكفر والعار .

الحارث مثلكم تكون رجال المسيح . فثقوا بالله وتشددوا . فمن وثق بالله لا يخيب أمله . أما أنا فاني اخرج الى المستشفى القريب لاعود الجرحى وأعزيهم ثم أعود . (يخرج) .

المشهد الخامس

مالك ، عبد المسيح ، ميمون

مالك ما اكرم نفس الحارث . وما أشد بأسه . وما أشنق قلبه على عبيده فكل صراب نقوم بالملك التعيس .

عبد المسيح اي ميمون . فإني اعجب من جدي . فقبل الحرب والحصار كان حزيناً كئيباً . يردد اسم ابي . ويكثر من ذكر عمي . منهداً باكياً . فلما انتشبت نيران الحرب انقلب حزنه ضرباً . وتحول جزعه الى حماسة الشبان ، وبسالة الشجعان ، واصبح كالشبل النشوان .

ميمون تلك حمية الدين ، تفعل بالناس فعل النار بالحطب . ذلك شرار الحب الالهي ، يجعل الرجال ابطالا ، ليست كالأبطال ، فقد جددت حربنا المقدسة شباب جدك ، واعادت اليه النشاط والقوة . ألا تعلم أن جدك كان فارس العرب المغوار ، وبطلها المقدام ، حامي الذمار . ورافع الأعلام . فلم يكن بين الأعارب والاعاجم رجل بأس وشدة ، نظير جدك الحارث .

عبد المسيح اي جدي ، فخر القبائل ومجد العشائر . فاني ما ازددت الا هياماً بعظمتك . ووجداً بمحبتك .

المشهد السادس

عبد المسيح ، ميمون ، مالك ، دوس ثعلبان .

ميمون ما وراءك ، يا دوس ثعلبان ؟

دوس ثعلبان تنكرت في هذا الليل ، ودخلت معسكر العدو .

ميمون فما رأيت ؟

دوس ثعلبان رأيت النجدات تأتيه من كل الأنحاء ، وقد عزم أن يخوفنا ويبعث الينا رسولاً يتهددنا ويتوعدنا إن لم نذعن للتسليم .

مالك نحن الرجال ، لا نخشى الأقاويل .

تطاول زرعة في بغيه وأفنى العباد ولم يرتدع
فزاد التجبر في غيه وعادى المسيح ولم يمتنع
فسوف يلاقي جنى كفره بيوم النشور متى نجتمع
اذا ما كفيت الورى شره فلست بعابد رب الورع
فيا ويل زرعة من ضربة يلاقي الحتوف بها المبتدع

دوس ثعلبان ثبتوا جأشكم . اذا اجبتم أن تسمعوا تفصيل الأخبار ... رأيت عبد شمس ابن السيد الحارث ، حاملاً راية العصيان . رافعاً عقبه على ابيه . وسمعته يحرض القوم على القتال والنزال.

زهير ومالك قبحاً لعقوق ، وسحقاً للخائن .

دوس ثعلبان فحلف امام الملك بالمناة واللات والعزى .

الجميع ويل الجاحد والكافر .

دوس ثعلبان فأقسم انه منذ الغد يفتح المدينة ، ويسلمها الى ذي نؤاس . ويدخل سكانها في دينه .

الجميع كذب الكافر .

زهير يا عبد شمس ابن عمي انت جحدت ربك ، وانكرت دينك . وانا اجحدك وانكرك ولو كان دمك من دمي ... كيف كفرت بربك يا ابن الحارث النديس ، فاسدت دم اجدادك ، وحطمت من قدر ابيك ؟ !

فيمون ما أثقل ما تكون الضربة على الحارث . فكيف نخبره ؟

عبد المسيح آه ، من لي بالوصول الى عمي فاجثو على ركبتيه باكياً واقول له اني صفحت عن كل ما اساء به الي . وتخليت له عن حقوق الميراث ، واقبل يديه ، متوسلا ليتوب الى الله ، ويدخل في طاعة جدي .

مالك سكن روعك يا أخي ، عبد المسيح ، ولا تجزع فالنخوة العربية لم تمت . فعلي انا وحدي بابن عمي عبد شمس ، فاشهد علي الله اني افديه بروحي واشهد علي المسيح اني ذاهب اليه الساعة ، مدججاً بسلاحي ، راكباً جوادي ، متكرًا فاخطفه من بين القوم ، واضعه على جوادي فآتي به واطرحه على قدمي ابيه ، واسفك دمي في سبيله .

فيمون يا لها من أخوة عربية وشهامة مسيحية !

زهير انما تهور نفسك في المهالك ، بلا جدوى ، وتسعى وراء حتفك عاجلا .

مالك حلفت فلا تتعب نفسك .

هاشم يدي بيدك يا اخي مالك ، فانا اصحبك . فاما للحياة واما للموت .

زهير أي أخوتي (يريد ان يعتنقهما) . .

مالك وهاشم حباً بالمسيح ويالحرث (فخرجان فيخرج زهير وراءهما) .

المشهد السابع

فيمون وعبد المسيح والعبيد .

فيمون ما اشهم بني تامر ، وما أعز نفوسهم . فلا العذاب يروعهم ، ولا الموت يهولهم .

رجالٌ اذا ما الناس عدت رجالها ، يفوقون كل الناس يوم المصاعب
سباع يفلّون الحديد بعزمهم ولا يرهبون الموت عند التجارب
بني تامر سودوا الانام فانكم ، نبتم فروعاً عن اصول اطايب

(يدخل زهير) .

المشهد الثامن

السابقون وزهير .

زهير (وهو داخل) سبقاني وطارا على أجنحة غراب البين .

عبد المسيح إن جدي الحارث عائد الينا .

فيمون (الى دوس ثعلبان) تدبّر الحيلة اللطيفة في الأخبار . (يدخل الحارث) .

المشهد التاسع

السابقون والحارث .

(يتقدم دوس ثعلبان ويقبل يد الحارث) .

الحرث ها انك قد عدت ، يا دوس ثعلبان ، فأخبرنا عن تدابير ذي نواس .

دوس ذعلبان ان ذا نواس حتم علي ان يبعث الينا رسولاً . يصحبه رجل مقنع يحثنا على التسليم .

الحارث إنه لفي غرور : فنحن اتباع المسيح لا نخضع للجاحد . فيحملنا على الجحود .

زهير نموت بالعز : ولا نحيا بالذل .

طلبت اليوم من ربي السماحا لاملأ عسكر الاعدا نواحا
فيعلم خصمنا عند التلاقي بان الأسد لا تخشى الكفاحا
اذا طلبت اعادينا هدايا فنبديها الاسنة والرماحا

الحرث . اصحيح ، يا دوس ذعلبان : انّ ابني في معسكر ذي نواس ؟

دوس ذعلبان نعم مولاي .

الحارث آه . يا عبد شمس : الى اي حد اوصلك عبد العزى . فما أمرّ ما يكون عيشك بين الكثرة . آه لو عدت الى ابيك ؛ مستغفراً كالابن الشاطر لضممتك الى صدري ؛ وبللت وجهك بدموع الفرح والاستبشار . لكن : يا للأسف شيطانك عبد العزى يجرّك وراءه ؛ ولا أدري في أي الهاوي يهورك ولو صدقت اوهاماً تدور في خيال تصوري فتستنكفها نفسي ؛ وينور منها دمي . رأيته يحملك على الجحود ويغريك على قتل ابيك وقومك ، وانت تنقاد اليه فتشهر سيفك على اهلك وذويك ؛ وهذا أمرّ من الموت في فؤادي . واحب اليّ ان اراك ميتاً نصب عيني فدى عن ديني وشعبي .

حاجب (او احد القواد يكون خرج من أول المشهد او من نصفه) — مولاي : إن رسولا بعثه اليك ذو نواس ، يصحبه رجل مقنع ، يستأذن بالدخول عليك .

الحارث دعهما يدخلان . (على حدة) من يكون الرجل المقنّع ؟ آه لو كان ولدي .

المشهد العاشر

(السابقون ثم الرسول والرجل المقنع) .

الرسول — عيد المثاة الا عم صباحاً ، أيها الملك العالي ، واقبل تحية مولانا السامي .

الحارث ومنا مولاك السلام .

الرسول أيها الملك : السعيد الطالع . بعثني اليك مولاي : ذو نواس : لأحملكم على الصلح : وأدعوكم الى الدخول في طاعته : فقد طالما تساقينا الدماء بيننا : ومزقنا شملنا بأيدينا . وأشتتنا بنسا الأجانب : ونحن بنو أمة واحدة . فلنحقن الدماء : ونقلب عوالي رماحنا في وجوه الأعداء . فإن فتحتم أبواب المدينة : ودفعتم الجزية سلمتم وإلا هلكتم (مكررة) بماذا اجيب مولاي ؟

الحارث (إلى الجنود) سمعتم كل شيء فبم تجيبونه ؟

وهير فلا كتب إلا المشرفيه عندنا ولا رسل إلا الخميس العرمرم
يطيب نفس الناس صلح . ونفسنا تطيب بنار الحرب حين تضرم
عرفناك ذا النواس بالمكر والخنا . فلسنا . ولو ذقنا الحتوف ، نسلم
فبل جهل الأقوام يوماً بأننا أسد الشرى يوم الكريهة تهجم
لنا صبغة زانت صدور رجالنا وصبغتنا من صدر أعدائنا الدم
حلفت وبالأنصاب أقسمت جاهداً بأنك تغتنا وهذا توهم
ونحن حلفنا بالمسيح إلهنا نموت على دين المسيح فنعظم
فإن كنت ترجو اليوم منا رسائلاً فياك جواب القوم والقوم أعلم
فلا كتب إلا المشرفيه عندنا ولا رسل إلا الخميس العرمرم

الرسول لا ينفعكم هذا . فاسمعوا ، ما أنا مبلغكم من قبل مولاي . إن سلمتم بلا حرب سلمتم . وصالحناكم ، بالتي هي أحسن . فنرفع مقام الحرث ونعزز شوكته ونعلي مقام رعيته ، ونترك لجميعكم الحرية التامة . فتتبعوا شرائع دينكم ، وعوائد بلادكم ، ولا نتعرض لكم بشيء . وإن واصلتم الحرب ، أهلكناكم ، واستأصلنا شأفتكم ، ودمرنا بلادكم وجعلناها مأوى البوم والغربان فرجالنا مئة وعشرون ألفاً ، وكلهم محنكون بالقتال معودون على النزال فاتقوا الله واشفقوا على عباده .

الحارث ومن يضمن لنا صدق مولاك وقد غدر بكثيرين من قبل ؟

الرسول إن مولاي ذو استقامة ودين ، فيحلف لكم بالمناة واللات والعزى

الحارث آلهة كذبة ، لا نقر بها . ونحن نعبد الإله الواحد .

الرسول إنه يحلف لكم بالمسيح .

الحارث إله لا يعبده فكيف يستشهده ؟

الرسول إنه يحلف بتربة الأجداد ، وشرف التبابعة ، ونخوة العرب .
الحارث هذا أحسن يمين لنا .
الرسول بماذا أجيب مولاي ؟
الحارث لا تجبه بشيء . فبعد خمسة أيام . تعود إلينا بشروط الصلح ، ويمين مولاك . فإن كانت كلها توافق صوالح رعيتي ، وشرف شعبي ، وإعزاز ديننا ، صالحناكم . وإلا فالحرب أمامكم .
الرجل المقنع اسمع ، أيها الحارث ، كلمة تصرع الجبار ، وتقبر الفجار فتبري عظامك بردياً . وتفري فصلوعك فرياً . إن ناوشتنا القتال . ونازلتنا النزال . فما الخيل إلا تجول جولة في ساحة الحرب ، فيكون ولدك أول قتيل فيها . فإني جعلته في صدر الجيش وأول الطلائع فإن مشيت علينا فيكون ابنك عبد شمس لك بالمرصاد . فدم أحدكما المهدور إما دمك بيدي أو دمه بيدك .
الجميع بالقطاعة !
فيمون يا للخيانة !
الحارث يا للكفر ! (يغمي رأسه) .
الرجل المقنع أراك ، يا حارث ، حنيت ظهرك ، وطأطأت رأسك الى الأرض ، وقد كنت رفعته الى الجو .
زهير أجسارة وشتيمة ! (يستل سيفه) .
الرجل المقنع أردد سيفك الى غمده ، فشعرة من رأسي بابن ملككم .
فيمون احقن الدم ، يا زهير ، فما هو إلا رسول . وللرسول حرمة مقدسة
زهير انما جاوز حد الوقاحة .
الحارث من أنت ، يا رجل ، أتيت تشتمني في مجلسي ، وتمتهني بدم ولدي ؟
الرجل المقنع كلمة الأمان فاعرفك بنفسي .
الحارث قل من أنت وعليك الأمان ولو كنت عبد العزى .
المقنع (يكشف القناع) تأمل جيداً ، يا حارث ، أتعرف طبعة العار التي طبعتها عليه ، بأحرف من نار ؟
الحارث ويل لك يا وقح !
الجميع (يستلون سيوفهم) ويل للخائن !
عبد العزى لا تتهددوا ، ولا تتوعدوا ، فإن الملك في قبضتي . وحياته

رهين حياتي ؛ فان تتلمسوني تجعلوا ملككم ، خائناً مثلي . وهذه تمام بغيتي .

الحارث ويما جئت تبغي مني يا شقي ؟

عبد العزى جئت لأكويك بنار أحر من النار التي كويت بها جبيني . جئتك لأرد عليك العار الذي وسمتني به : أنا خائن ؛ وابنك عشرق بخائن ؛ ويجاحد . فقد جحد دينه ياغراني ، وعبد الشاة والعزى .

الحارث (يسقط متلاعباً) ربي وإلهي !

زهير (يشهر الرمح نحو العزى بالسيف) الموت لهذا الخائن .

نيمون لا تفعل ؛ فقد أعطي الأمان .

زهير (يهم بالضرب) .

نيمون (يمسك على قبضة السيف) .

الحارث خلّوا سبيل الخائن ؛ لكلمة الأمان . وامتثالاً بالمسيح ، فقد صفح عن صالبيه .

عبد العزى (يهرب وهو يقول) وأنا لا أصفح أبداً .

نيمون أخرجوا يا سادة العرب قليلاً فملككم في شدة .

المشهد الحادي عشر

نيمون — عبد المسيح — الحارث

عبد المسيح واحزني عليك ، يا جدي ، والوعتي على حزنك يا سندي . أفديك بحياتي ، بروحي أفديك يا حياتي . آه يا عماه ، واحسرتي عليك ، كيف جحدت ربنا . كيف غدرت بشعبنا . بأية حالة صيّرت جدي ؟ !!

الحارث ربي ، خذ بناصري . فقد أعيتني الحيل . هدت بدني الأوجاع ، وكوت قلبي الأحزان . فما أشقاني . فقد غشني ما كنت أخشاه . ودهمني ما كنت أتوقع .. عبد شمس خائن . فيا للعار ! عبد شمس جاحد فيا للشنار ! .... شعبي الذي أفديه بروحي يكون سبب هلاكه ولدي ! يا ابن الحارث . ، كيف كفرت بربك ، وكيف جحدت مسيحك ؟

يا عبد شمس لقد أثقلت أثقالي هددت عزمي إذ قطعت أوصالي
أشراك شيطانك المنحوس طالعه . فرحت تسعى باهلاكي وذلالي
فكيف واطأت حسادي على وطن فيه ربيت باعزاز وإدلال
قد كنت أملت أن تعتز ملتنا فخيبت بفعال النذل آمالي
لو كنت مت فدى عن دين ملتنا لكان موتك أسمى لي وأحلالي

فيمون يا حارث : ملك نجران ؛ وسيد العرب ؛ ومجد بني تامر ؛ ما بالك استهدفت نفسك للجزع والوجع ؛ وأنت ابن البأس والقوة ؟

الحارث إن عاملين يتنازعان فؤادي : عامل الشفقة والحنو الأبوي على ولد جاهل ؛ أوقعه سوء حظه في يد الأشرار ، فيوردوه في أخطار المهاوي والمهالك . وأسلكوه أوعر المسالك وانطرق ؛ وعامل الحب لشعب أفديه بنفسي . قل ، إي فيمون . هل من وسيلة لخلاص شعبي من نير الاستعباد ؟ وهل من حيلة لنجاة ولدي من الكفر ومن جهنم ؟

فيمون إن وسائل الرب كثيرة ؛ ونعمته تلين صم الجلاميد . فقلب عبد شمس لم يفسد بعد ؛ وأنا أدرى الناس بسريرته ؛ فإني أخاطر بنفسي وأذهب إليه .

الحارث نعم الرأي ؛ بل الأولى أن أذهب أنا بنفسي إليه فقد بلغني أنه نافذ الكلمة وذو سطوة لدى عدد وافر من الجنود . فإني أتنكر لأبلغ إليه ، لعلي أقنعه بالدخول في طاعتي ؛ والرجوع عن جحوده . فلا أخشى المهالك ، ولا أرهب المخاطر . ولا أستصغر صغيرة . ولا أستعظم كبيرة في كل أمر يؤول الى مجد الله ، وخير شعبي وخلاص ولدي ... ربي ، حياتي فدى عن شعبي وعن ولدي .

(ستار)

الفصل الرابع

في خيمة عبد شمس

المشهد الأول

عبد شمس

عبد شمس (يبدأ مكتوب) « أما بعد ... يا عبد شمس : ابن الملك الحارث كن في مملكك في الساعة العاشرة : فإن لي معك كلاماً : يعود عليك بالنفع والفائدة ... والسلام » . لا توقيع فيها . ولا إمضاء. فمن الرجل يكتب اليّ ويخفي علي اسمه وغرضه ؟ لعله رسول بعثه أبي الحارث يدعوني الى طاعته. لا . فأبي ذو كبر وأنفة. لا يتذلل الى هذا الحد. فما لي وهذا . فقد رسمت الخطة التي أسلكها . وقررت المنهاج الذي أنهجه . فلست أنثني عن قصدي ، ولا أرعوي عن عزمي : وكيف أرجع الى الوراء . على حين كدت أبلغ طلبي : وأنال أربي . فإني عرفت كيف تستعبد الرجال . فسحرت عقول العساكر بشهامتي : وجذبت القلوب ببسالتي . فبايعت في حيام الوطان ، وصارت كلمتي عندهم : أمضى من سيف ماض . فهم طوع أمري ورهن اشارتي : الى الحياة والى الموت : انما ما النسيمة التي صار حديثها على ألسنة الجنود ؟ ... فمن الفارس الجسور الذي آل على نفسه أن يختطفني من مركزي ، ويرميني على قدمي أبي . لقد ذهبت أوهامه أدراج الرياح أو يحسب عبد شمس قصبة إذا قصفتها قصفت ؟ أفلا يدري أن قدمي أثبتُ من ظهر الأرض . وأني حيثما وجدت أمنع من عقاب الجو ؟

لقد خابت ظنونك يا عدوي ... الا تدري بأني عبد شمس ؟
فهل يخفي طلوع الصبح غيم ؟ ... وهل تخفي النجوم ضياء شمس ؟
ألا تدري فعالي كل يوم ، ... ألم ينبئك عني فعل أمس
فنجم السعد يطلع فوق راسي ... وشمس المجد تشرق حيث أمسي
فإن تهوى السماء الى هبوط ... تمد لها يميني صدر ترسي
عزيز في الحياة وبعد موتي ... تخر جبابر الدنيا لرمسي

المشهد الثاني

عبد شمس وفيمون

فيمون (يسند الانجيل – وهو داخل)

ياعبد شمس يا فتى يا من بروح الكل يفدى

عبد شمس ويلاه ! أفيمون الراهب هنا ؟

فيمون فيمون جاءك بغتةً : والى الوصال يتوق جداً
وحياتكم يـــا مبجّتي قلبي بحبكم زاد وجـــدا

عبد شمس وما جاء بك الى هنا يا فيمون ؟

فيمون حب أجاج . وشوق وهاج .

عبد شمس وما تبتغي مني ؟

فيمون رؤيتك يا ولدي ؛ فحدثني عن أحوالك . فكيف أنت بين أعداء أبيك ؟

عبد شمس حدثني بغير هذا .

فيمون أتسمع حديث أبيك الحارث ؟

عبد شمس لا أحب أن أسمع عن أبي شيئاً .

فيمون اتحب أن أقص عليك قصة عجيبة ؟

عبد شمس إفعل وانتخبها قصيرة .

فيمون (يفتح الكتاب) كان رجل له ولدان ، فقال له الأصغر : أعطني نصيبي من ميراثي ...

عبد شمس كفى ، فهذه قصة الابن الشاطر . كأنك تُعرّض بي .

فيمون نعم ، يا ابن الحارث القديس ؛ فقد هجرت أباك وتركته يتقلب على جمر الغضا ، ولجأت الى عدوه ذي نواس .

عبد شمس ذلك بعد أن حرمني من حقوقي ومنعني من ميراثه .

فيمون لم يكن له فيه غير تأديبك .

عبد شمس ومن لي بعلم الغيب ؛ ومعرفة الخبايا ، والنيات ؟

فيمون فهل داخلك ريب قط في محبة أبيك ؟ فما كان أعجله بالعفو عنك ، بعد أن وضعت يدك في يد من قتل أخاك . وما كان أشفقه عليك ، بعد توبتك .

عبد شمس بل قل إن زيّتي هذه لم ينسها أبي قط . فلا يزال يذكرها كل ليلة فيصيح علي في شبابي : يا قايين . كيف قتلت أخاك . ثم أوصى بالملك الى ابن أخي . وحرمني من كل شيء. فأصبحت أعوز الناس وأذلهم . وأنا ابن ملك . ونفسي الأبية تأبى الاغضاء عن الأذى والاستكانة في الذل . فنشأت عن العز عند غير أبي ...

فيمون انما لك ان ترد المياه الى مجاريها : إذا ما عدت الى أبيك .

عبد شمس تطلعت في الشر : وتهوّرت في قعر الهاوية . فأصبح خروجي منها محالاً . ثم إن نحوي العربية تأنف من تواضع يضع قدري : ويخفض شأني .

فيمون إذا لم تذهب إليه . يأتي هو بنفسه اليك .

عبد شمس ماذا تقول يا فيمون ؟ فانك تجهل أنفة أبي الحارث وكبر نفسه.

فيمون وأنت يا عبد شمس : تجهل محبة أبيك : فإنه ما غبت عن عينيه أبي إلا البكاء . ورفض كل عزاء . وطالما سمعته يقول: يا من يرد علي ولدي عبد شمس ، ويأخذ نصف مملكتي . وأمس قرّب حياته للرب فدى عنك : وقال : ربي ، خذ حياتي ، وخلص ولدي .

عبد شمس كيف يفديني بحياته ، وقد حرمني من كل حق ، وصيرني أحدوثة بين الناس . فجعله لي أضغاث أحلام . فهو يبغضني . آه وأي بغض ... يا لسذاجة قلبك يا فيمون ، قلت انه يأتي اليّ ليجذبني إليه فهو لا يحب أن يراني ...

المشهد الثالث

الحارث — فيمون — عبد شمس

الحارث (يدخل بنتة) بلى أحب أن أراك ...

عبد شمس (كمن أصيب بصاعقة) أين أنا ؟

الحارث أنت أمام أبيك الحارث .

عبد شمس أين المهرب ؟ أين المفر ؟ (يحاول الفرار) .

الحارث لي كلمة أقولها لك قبل موتي ، أفتحب أن تسمع ؟

عبد شمس (بصوت منخفض ولهجة باردة) قل .

الحارث تكرتُ . وخفت الخاطر . وازديت بالمهالك . فاخترقت الصفوف وسلكت بين الأسنة حتى أبلغ اليك . فأبلغك حبي الأبوي . قربت حياتي لله فدى عنك . فطرت اليك على جناح الموت لأردك مما ورطت نفسك فيه .

عبد شمس لا أجيب بشيء .

الحارث أفلا ترجع الى ربك وتعود الى أبيك وشعبك ؟

عبد شمس لا أستطيع الى ذلك سبيلاً . ولا أريد .

الحارث ولماذا ؟

عبد شمس حتى لا أكون أحدوثة تتحدث بي الناس . وتومىء اي بالأنامل : هذا ابن الحارث . كان سبب قتل أخيه . وعق أباه . وجحد دينه . ثم عاد إلينا وهو أذل من الوتد ... حتى لا أسمعك كل ليلة تقول لي : أين أخوك ؟ ... حتى لا أسمع الناس تقول : رجع عبد شمس ليحتال على ابن أخيه ويستبد بالملك .

الحارث ولدي ، ما من احد يسمعك شيئاً من هذا . بل إني اتخلى لك عن سرير الملك وأتنزل عن الحكم . فتخضع لك الرعية كما تخضع لي . وتحبك كما تحبني .

عبد شمس هب ذلك جائزاً . فملكك غير ثابت . غداً ينتبه ذو نواس المدينة ويدخلها في طاعته . فتُخلع عن الملك رغماً منك . وإنْ أجبت الى سؤلك أضعت ثقة الجنود بي ومحبتهم لي . وأغضبت علي ذا نواس فيرذلني ويقتلني . فتخيب كل آمالي ... لا إذاً فإني لا ادحور نفسي الى أسفل سلم المعالي ، وقد بلغت الى أعلاه .. لن أعود اليك أبداً ، بعد أن حرمتني من ميراثك . ونفسي السامية لا ترضى لي إلا بالمقام الأول .

الحارث عد اليّ فيعود اليك مقامك الأول .

عبد شمس لن أعود أبداً .

الحارث جرعتني المرائر ، يا عبد شمس ، وكسرت النصال على النصال في فؤادي . وما اكتفيت . كان لك يد في مقتل أخيك فعفوت عنك . هجرتني فجئت اليك . أثرت على شعبك حرباً عواناً . أهلكت فيها بني عمك وأهلك . وأصحابك ، وما انثنيت ... كل هذا وأنا أتجلد . إنما عيل صبري . ولم أطق احتمالاً لما

سمعت أن ابن الحارث جحد دينه . وعبد الأصنام . فاسودت الدنيا في وجهي . وكأن كل النصواعق انقضّت على رأسي . والجبال زلزلت على كتفي . وددت لو مت عزيزاً قبل اليوم .. (سكت مدة) ... ما بالك ساكتاً : لا تغوه بكلمة . أما تخرج عن عنادك وكفرك فتغسل ما خق عرضك وعرض ذويك من أدناس المذلة والمهانة . وتعود الى شرفك الأول وعزك القديم ؟ .

عبد شمس وكيف ذلك ؟

الحارث ذلك : إما أن تستعين بجنودك الأمناء فتنتصر قومك فيعود ذو نؤاس من حيث أتى . وإما أن تحارب عن يمين أبيك وتموت في حومة الوغى فتكفر عن إثمك بدمك .

عبد شمس لست أقوى على هذا . فلا أغدر بذي نؤاس . ولا أدع فرصة السعد وأجد تغرتني .

الحارث لا تغدر بذي نؤاس . بل تغدر بأبيك وقومك وتستعين عليهم عابد الأصنام : وعدو دينهم . لا تدع فرصة السعد وأجد تفوتك ! أتسعد بموت أبيك : وتفرح بهلاك ذويك : وتتجد بخراب مدينتك ؟ ... أتظن أننا نسلم لذي نؤاس ونبقي بقية ومق . فإنك لا تدخل نجران قبل أن تطأ بنعليك جثة أبيك الباردة !

عبد شمس (برتعش) ويلاه !

الحارث فلا تمشي خيل ذي نؤاس إلا على جثث القتلى . غداً يفتح ذو نؤاس مدينة أجدادك : ويقرّب ذبائح لآلهة كذبة شعبك وأهلك وأباك . فسُر وافرح وسد ناعم البال .

عبد شمس كفى فكلامك يجرح قلبي .

الحارث وأنت أثخنت جسمي جراحاً بأعمالك . وحدت قواي بكفرك ، فنغصت علي عيشي أي تنغيص . جعلتني أحدوثة للساخرين وهدفاً للشامتين : كنت أشرف العرب وأعزهم فصيرتني أحطهم شأناً ، وأخلهم قدراً ، كدرت أيام حياتي كلها ولم ترني يوم سرور . كنت أسعد الناس ، فأصبحت فيك أشقاهم . وسوف أنحدر الى القبر وأكفاني مصبوغة بالذل والشقاء ... وقلبي مكوي بنار الغم والبلاء . وهذه الأكفان أنت صبغتها . وتلك النار أنت أضرمتها .

عبد شمس ما أمر كلامك في نفسي !

الحارث فبكلمة واحدة من فيك : تمنع هذه الشرور عن رأس أبيك . وتجعله أعز الناس وأسعدهم . وأنت ترفض أن تنطق بها . قل لي ما الذي يؤثر في قلبك الجلمودي . فانظر إلى أي حد أحبتك نفسي . وتأمل في أية هاوية من الذل ترميني . فحباً بخلاصك . لا أستنكف من أن أذلل مقامي . وأخفض قدري . فحدق الى أبيك الحارث . الملك المهاب والسيد المطاع : واكفف دموعك إذا استطعت حين تراه متوسلاً إليك . متربصاً على قدميك . هاتفاً (يضم يديه ويركع) خلّص نفسك خلّص مدينتك .

عبد شمس يا الله ... أبي على قدمي ! ... وحياتك : انهض (يسعى لأبد الحارث ويهم بمعانقته) .

قيصون (من الباب) ذو نواس وعبد العزى .

عبد شمس (بكل سرعة) ويلاه : لقد هلكت يا أبي فالفرار : الفرار .

الحارث ما أطيب على قلبي هلاك جدي : إن خلصت نفس ولدي .

عبد شمس لا مجال الآن للجدال : فالعجلة ، العجلة ، وإلا هلكت بلا محالة (يصل سمعها الى الباب) من هنا . من هنا .

الحارث (وهو خارج) يا ضيعة المسعى . ويا خيبة الأمل !

المشهد الرابع

(يطل ذو نواس وعبد العزى على طرف الخشبة) .

عبد شمس إركبا الخيل ، وعجلا .

ذو نواس (الى عبد العزى) إرجع حالاً ، وابعث الرجال على الجياد وراءهما .

عبد شمس (الى خارج) على اليمين . على اليمين . وإلا هلكنا .

ذو نواس (الى عبد العزى) إتبعهما على الأثر ، وحذار أن يخلصا (يخرج عبد العزى) .

عبد شمس هذه الطريق فواصلاها الى نجران .

ذو نواس أظنهما قيصون الحميري ، والحارث النجراني .

عبد شمس أفلست أنا الرجل الحر . أو ليس لي أن أخاطب أبي ساعة .

أما كذلك أني خلعت نير طاعته . وانضممت الى عسكرك لمحاربته ؟

ذو نواس أنت حر أيها الفتى . فافعل ما أحببت . انما عليك أن تذكر أني انما أنا هنا لأنصرك على أبيك . وأرد إليك ما حرمك من الميراث والملك .

عبد شمس أنت هنا لتنصرني لا لتستعبدني . فان كنت أنت ملك حمير فأنا ابن ملك نجران . فعليك أن تعاملني كأبناء الملوك . لا كأولاد السفلة .

ذو نواس ما خفضنا شأنك بشيء . ولقد أعززنا مقامك . ورفعنا منزلتك . عند القوم . فأنت الأول بين القواد ؛ وأنت المتسلط على عشير العساكر والمتولي على قلوب الجنود . وكأنك بينهم أنت الملك لا أنا . أهذه معاملة العبيد عندك ؟

عبد شمس إنك تراقب حركاتي في معسكرك : كالأسير أو كالخائن .

ذو نواس إن كنت تقي الراحة في أعمالك ، صافي النية في أفكارك . فما عليك . لكن إن كنت تدس الدسائس ، وتراسل أباك بالصلح سرًا . وتطلعه على أسرارنا وحيلنا . فإنك تستوجب الملام . فإن أحببت أن تصالح أباك . فافعل . وأنا أنصرف عائدًا الى تدبير مملكتي . أما أن تدعوني الى نصرتك ، وتنصب لي الفخاخ والاشراك ، وتمد لي حبال المكيدة والدسيسة فتوقعني في التهلكة ، أنا وقومي ، فذلك غدر ومكر .

عبد شمس ما وطأت على دسيسة ، ولا شاركت في مكيدة ، وليس الغدر من خلقي. فما مشيت حياتي على طريق المكر ، ولا عرفت أبواب الخداع ... فما راسلت أبي ، وما كاتبته بل وجدته بغتة ، في منزلي ، دون سابق علم مني .

ذو نواس وبمَ حدثك ؟

عبد شمس تسلل إلي لأتوب الى الله ، وأعود الى طاعته .

ذو نواس فما صنعت ؟

عبد شمس امتنعت .

ذو نواس ولماذا ؟ كان عليك أن تدخل في طاعة والد يفديك بحياته ،

عبد شمس إنك تتهكم !

ذو نواس . فمن عظم حبه لك بعث اليك فارساً ليحملك اليه قسرًا وقهرًا.

عبد شمس ماذا تقول ؟

ذو نوّاس اعلم ، يا عبد شمس ، أنك لما كنت تواطئ في منزلك على صاحبك وناصرك كشفت أنا بنفسي عن دسيسة منصوبة لك (يناوله ورقة) فخذ واقرأ . فقد وجدنا هذه مع الفارس النجراني.

عبد شمس هذا خط ابن عمي مالك (يقرأ) — أنا مالك حلفت بالمسيح حباً بالحارث أن أنشل عبد شمس من مركزه وأطرحه على قدمي أبيه (يمسح) بل إنك لتفتش عن ذلك أنت وأمثالك .

ذو نوّاس تأمل بخط أبيك .

عبد شمس إذن واطأ أبي على خفض شأني ، وإذلال قدري . وما كان كلامه إلا تدليساً ومداهنة ؟ آه . قد كنت ذرفت الدموع . ورق قلبي وتحركت كل عواطفي ، حين رأيته مطرحاً على قدمي . وعيناه تهطلان العبرات . فما كان ذلك منه إلا ليسود علي ويخدعني . وكانت انطلت عليّ الحيلة . فتصلب إذاً يا قلبي ، وكن أقسى من الجلمود . (تدخل القواد وعبد العزى)

المشهد الخامس

عبد شمس — ذو نوّاس — القواد — عبد العزى

ذو نوّاس (الى عبد العزى) أين الرجلان ؟

عبد العزى لم تتمكن منهما .

أحد القواد مولانا ، إن جيوشاً جرارة زاحفة علينا من روما والحبشة . وبعد ثلاثة أيام تبلغ الينا .

ذو نوّاس لا يهمني أمرهم . بعد ثلاثة ايام . فاليوم يتم فتح نجران . وغداً نتأهب لقتال الروم والحبشة .

أحد القواد انما قد ضعفت قوة جيشنا . وسئمنا الحرب . فلنعد الى بلادنا قبل أن تفاجئنا رجال القيصر والنجاشي . فتعمل السيف في قومنا . ولا تبقي منا نافخ نار ، أو ساكن دار .

ذو نوّاس ويحكم ، أنتم قواد جيش ، وهذه بسالتكم ؟ واللات لأعذبنكم أشد العذاب ، إن لم ترجعوا . من أين لكم الجسارة والوقاحة فتتحدثوا عن الرجوع الى الوراء ؛ أمام ذي نوّاس : فأنا وزير الآخة وذراعها وقد حلفت أن أدوّخ البلاد وأدخل العباد في دين آختي .

أطوف في الدنيا تسبد عداوة وحربي المنايا مسرعات خواطف
هبت هبوب الريح كالرعد قاصفاً فكان خراب حيث رعدي قاصف.

وإن سأل سائل عن سبب وجودي في العالم

فللإعدام والخلق والتجديم والمحق
وللايتام والثكل وللتعذيب والنكل.

فدوري في مسرح الدنيا مهم...

إضرام نار تتشظى حرا شغلي وإهراق الدما هدرا
تفريق ما يبنود من شاهق قصدي وترويع الملا طرا
لا زال سيفي في الوغى ضارباً حتى أغشي البر والبحرا
من جثث القتلى وأشلائهم ذبحاً فيضحي كونهم قترا
هذا عنائي في مدى مدتي عن خطتي لا أنثني الدهرا

فالليب المستعر من فؤادي خامد في نفوسكم

القواد انما وجدت شدتنا وخارت قوانا لطول الحصار.

ذو نواس انت أنا الملك وأنتم العبيد: ولي الأمر وعليكم الطاعة؟

أساس الملك وبحكم رجال إذا ما الملك زال عن الأساس
فكم من تاج ملك قد رأيتم تنقل من أناس في أناس
أطيعوا الرأس منكم كي تسودوا وهل جسد يسود بغير رأس
فإن الناس مثل الأرض أرض وإن ملوكهم مثل الرواسي

فاذهبوا إذاً واستعدوا للقتال. وأما أنت يا عبد شمس فما أنت صانع؟

عبد شمس ما يأمر به الملك. فأنا ورجالي نكون في طليعة الجيش

(يخرج الجميع عدا عبد العزى وذي نواس).

المشهد السادس

عبد العزى — ذو نواس

عبد العزى مولاي، إن كبر عبد شمس اراعني. فأصبحت في ريبة منه. فإني أرى أن التخلص من كيده أولى. فإن رجاله تحبه وتعبده كإله. فإن هو أومأ إليهم تراهم يتسارعون الى الموت. وقد رأيت

قلبه مائلاً الى أبيه . فأخاف أن ينقلب عليك برجاله . فتدور عليك الدوائر .

ذو نواس وأنا رأيتي مرة . منذ رأيت حب الجنود له وشديد تعلقهم به . فزاده هذا نبيلاً وعجباً : فحسب نفسه مثلي في السطة وتحري في العظمة . وقد صممت العزم . وعقدت النية على التخلص منه . لكنني لا أتجرأ عليه تهيباً من رجاله .

عبد العزى إن عندي وسيلة خلاكه : ليس وراءها وخيم عاقبة . وهي أن نسيره في شرذمة من العساكر للملاقاة الروم والأحباش . فيبر جريح متقدم . ونسير الى من تعتمد عليه فيجعله نصب شبكة أو هدفاً للحتف . فيهلك لا محالة .

ذو نواس ما أقواك على استنباط الحيل : يا عبد العزى : فكأنك شيطان من الجحيم . قم ذاهب لأعمل برأيك في الحال .

المشهد السابع

عبد العزى وحده

عبد العزى كأنك شيطان من الجحيم ... خدعتك نفسك يا ذا نواس : بل كل جهنم في صدري ، وقوات الجحيم في قبضتي . فإن كان للغدر رب : فأنا ربه ، وإن كان للمكر جراب . فأنا جرابه ، فما أحسن خدمتك يا دهر ، وما أوفى مسالمتك يا زمان : فليسعد حالي وليتعم بالي . غداً يتم لي أخذ الثأر : وكمال الانتصار : فأرى الحارث صريعاً على قدمي : وابنه يموت في حومة الوغى : تحت سنابك الخيل ، فيخلو لي الجو ، ويصفر وجه السماء فأصبح أنا ملك نجران . فأقتل وأذبح وأسلب وأنهب ولا أبقي على أحد . أضرب الدور : وأهدم القصور : أدمر الكنائس ، وأقلب المذابح أحرق الصور ، وأكسر الصلبان ، وأمحو وجه المسيح من الأرض . كل هذا بغضاً لك يا حارث : وانتقاماً منك ياعابد الناصري .

إني استعرت بنار الغيظ واحتبكت ... في الصدر حيات سم كلها سودا
ويل العداة وويل الكل من غضبي ... فلست عن كيدخصمي اليوم مردودا
لايطفئ النار في صدري متى اضطرمت ... إلا اللهيب على الأعداء موقودا

وليس يروي غليلي من لظى حنقي ... غير الدماء تغشّي السهل والنيدا
وليس يغلبني في كيده أحد ... انس وجن وما استثنيت صنديدا
إن كان يعبد غيري بعض آلهة ... فلست أعرف غير البغض معبودا
يا حارث السوء كن مني على وجل ... جردت سيف انتقامي اليوم تجريدا
يا آل نجران قصدي اليوم امتحكم ... قتلاً وذبحاً وتشتيتاً وتنكيدا
هذا وعيدي فلا رب يخلصكم ... إني مبيدكم يا قوم تبديدا

(ستار)

الفصل الخامس

(قمة)

المشهد الأول

الحارث — فيمون — عبد المسيح — الصيد — الشهود .

الحارث — لقد غدر بنا ذو نؤاس ؛ والغدر من شيم اللئام . حلف بآلهته ؛ ومسيحنا ؛ والنخوة العربية ؛ والشهامة التبعية : أن لا يتعرض لنا بشيء ؛ إذا صالحناه . فصالحناه ؛ فإذا هو غادر ؛ لا يحفظ العهود ؛ ولا يبر بيمين ؛ فحنث بإيمانه ؛ وأقسم إما أن ندخل في دينه ، وإما أن يقربنا ذبائح لصنمه ؛ المناة . فمتى تتوفر له أسباب الخداع ، ووسائل المكر ، احتال على عبد شمس وأبعده ؛ لئلا يحول دون الوصول الى نواياه الفاسدة .

زهير — أيكلفنا الكافر الكفر بالمسيح ؛ فنخضع له ؛ ساءت الأوهام أوهامه .

حاشم — أيحسبنا رجالاً يروعنا بالتهديد ؛ فنرتاع فرقاً ؛ فلا تهديد ؛ ولا وعيد ، ولا لجب ؛ ولا وقيد ؛ يهولنا . جميعنا نتوق الى الموت شهادة للمسيح الرب .

فيمون — تباركت يا رب القوات والجنود .

الحارث — ما أشد شهامتكم . فابشروا !

مالك — حار الفكر في أمر ذي نؤاس ، فما هذا الرجل يتقلب في الأحكام ، كما يتقلب في الأديان . أمس فك قيودنا ، وأطلق

لنا الحرية ؛ واليوم ؛ رجع فأسرنا ؛ في هذه القلعة . وتسد علينا .

الحارث إن شيطان عبد العزى عدونا الألد ؛ يوسوس إليه ما تسوّل له نفسه الدنيئة ؛ فينقاد له كالأعمى ... فما لنا وهذا . فدخلوا الآن الى المعبد القريب ؛ وتزودوا الزاد الأخير ؛ للسفر البعيد . واستعدوا للجهاد ؛ وأنا عن قريب أتبعكم .

(يخرج الجميع ما عدا الحارث وعبد المسيح)

المشهد الثاني

الحارث وعبد المسيح

الحارث ما أمر الأوجاع على جبل الجلجلة ! ربي أنت عالم بمرائر قلبي ! لكن بكل طيبة خاطر ؛ أشرب الكأس التي شربتها أنت قبلي ؛ وحباً بي . (يكبو يضع يده على عينيه ويبكي)

عبد المسيح ما بالك تبكي يا جدي ؟ .

ما بال دمعك منهلاً فواكمدي ... فدمعك الجمرة الحمراء في كبدي
أفديك في مهجتي يا منتهى أملي ... تفديك روحي يا عزي ويا سندي

اي جدي لمَ تبكي ؟

الحارث إني أبكي على العرب ؛ الذين عبدوا الأوثان . فعميت أبصارهم فلا يرون نور الحق . فيسكنون في ليل الضلال . أبكي على نجران المدينة المقدسة كيف افل نجم سعدها ؛ وزال عز بنيها ! أبكي على فرسان العرب وأبطالها ؛ الذين ماتوا في ساحة القتال . وأصبحت أشلاؤهم فرائس الذئاب والغربان ! أبكي على الأرامل والأيتام الذين أصبحوا في أيدي الكفرة القساة القلوب !

عبد المسيح لا تبك يا جدي ؛ أما قلت ان في السماء رباً عينه يقظى ؛ لا تنام وهو ابو اليتيم ، وعضد الأرملة ؛ وعزاء الحزين ؟

الحارث أبكي على زوال النصرانية من البلاد العربية ؛ بعد خراب نجران . فقد استبد عدونا ذو نوّاس بالأحكام فجاوز الحد بالقتل والنهب . فدمّر البلدان والقصور . وخرب الكنائس والمعابد ؛ وهدم الهياكل والمذابح ؛ وكسر الصلبان وأحرق الصور .

عبد المسيح يا له من كافر جائر .
الحارث أبكي عليك بني ! أبكي على عمك !
عبد المسيح ولماذا يا جدي . فيما أغضبك وأحزنك . فأطلب منك الغفران .
الحارث لا لا بني . فقد كنت لي سلواي في بلواي . وعزائي في شقائي. فما أنت لي إلا عصا شيخوختي . وشعلة وحدتي . فإني أفقدك سريعاً وأتركك وحدك بلا نصير ولا معين .
عبد المسيح ألا تريد أن أتبعك الى حيث أنت ذاهب يا جداه ؟
الحارث أنا ذاهب الى الموت .
عبد المسيح أذهب وأموت معك .
الحارث تمت بي في زهرة العمر . لا لا إن نفسي لا تطاوعني على ذلك .
عبد المسيح فما زهرة العمر إزاء إكليل الشهادة ؛ وما لذة الحياة عند عذوبة الموت ؛ حباً بالمسيح .

فما أحلاك في قلبي ؛ أيا موتي فـــدتك ربي !

الحارث وهل تطيق عذاب النار في الاخاديد ؟
عبد المسيح نار الاخدود أدنى من نار جهنم ؛ ونعمة يسوع إلهي تقويني .

فلا الاخدود يرعبني ولا النيران تـــرهبني
أجيج النار يطربني وفي قلبي لظى الحب

الحارث دعني أضمك إليّ .
عبد المسيح إني أرى الدمع في عينيك يا جدي .
الحارث دعني أبكي على عمك ؛ عبد شمس .
عبد المسيح واعماه ؛ واعماه ؛ !
الحارث لقد جرعتني كأس المر والحنظل . فقد كان رق قلبي فعاد أصلب من الجلمود ... كيف أموت وأترك ابناً كافراً جاحداً . ربي عذبني بما شئت ؛ وأرجع إليك ولدي (يحثو) إليك يا رب أصعد صوت بكائي فلا تحجب نور وجهك عني ؛ حتى متى يا رب تتباعد عني . ها قد ذبلت روحي من الكربة ؛ وبيت كالخزف قوتي . قد يدك وانتشلني من وهدة أحزاني ؛ حوّل غضبك عن ولدي وارمق بعين رحمتك شعبي فلا يجحد اسمك

القدوس رجل من رعيتي . ولا يملك واحد من أعطيتني .
(سمو كبريائي من وقت الى وقت – (سكوت)

عبد المسيح ما بال وجه جدي يشرق كالشمس المضيئة ؟

الحارث (يمشي) ما هذا الدخان المتصاعد في الآفاق . ما هذه النيران المتقدة . والنهيب المضطرم . ما هذه الألوف المؤلفة من رجال وأطفال ، وشيوخ وصبيان ، وبنات ونساء ! ما بال العويل في نجران ... عجباً كيف تتراءى الجماهير في لهيب النار... بادت . بادت المدينة المقدسة ... واأسفي على أم المدائن .. كيف بدلت العز والضياء بثياب الذل والحداد ... ؟ فما هذه الجوانح البيضاء ترف فوق الأخاديد الحامية ! عجباً : ها إن أبواب السماء تتفتح : والملائكة تنحدر الى الأرض ، وهي تنشد : المجد لله في العلاء وعلى الارض السلام ... ما هذه النفوس الصاعدة في الجو على أكف الملائكة مضيئة كالشمس مشرقة كالبدر ! ما هذه الأكاليل وما هذا النشيد ! سري وافرحي يا أورشليم الجديدة ، وبدلي ثياب حدادك يا نجران بثياب الفرح ! .. ها إن مجد الرب أشرق عليك ورفع شأنك بين المدن ، فمجد بنيك باق الى الأبد . (يرتعش)

عبد المسيح جدي ، جدي ، ما بالك ترتعش ؟

الحارث (يرتعش)

عبد المسيح جدي ، جدي : ما بالك ؟

الحارث لا شيء : أين فيمون والامراء ؟

عبد المسيح في معبد القصر .

الحارث فلنجتمع بهم ، فقد دنت ساعة الاستشهاد . (يخرجان) .

المشهد الثالث

ذو نواس – عبد العزى – القواد

ذو نواس نصرتنا الآلهة أيها السادة ، وخذلت أعداءنا .

عبد العزى عش أيها الملك المظفر ، في أعلى بروج العز ، وليسطع نجمك في أصفى فلك الضياء . فالدهر عبدك ، والزمان صنيع يدك ، فما أنت إلا مجد الملوك التبابعة .

ذو نواس أين الحارث وقومه . لقد كانوا هنا .

عبد العزى إن للحارث معبداً يلجأ إليه كلما ألمّت به شدة — (يدل على الباب) — وهذا بابه .

ذو نواس إني بهم في الحال : (موجهاً كلامه الى الجنود) .

المشهد الرابع

ذو نواس — عبد العزى

ذو نواس إني حائر في أمري ولا أدري أي المصير مصيري . ثم هذا الدين الذي يجعل الأطفال أبطالاً . والنساء رجالاً . توعدت . وتملقت . وعدت وتهددت . فما زاد النصارى إلا اعتصاماً بدينهم واستمساكاً بيقينهم ؛ خددت الأخاديد ؛ وأضرمت النار الحامية وقلت : إما الجحود وإما النار . فيهتف الجميع بصوت واحد : النار ولا الجحود . فما العمل ؛ وما التدبير ؟

عبد العزى العمل أن تحمل زعيمهم الحارث الى الجحود فيجحد الجميع . وإن أبى تقذفه في النار فيهيب القوم . فتحملهم رهبتك الى الدخول في دينك .

ذو نواس وإن رفض الجميع ؟

عبد العزى فالجميع الى النار .

ذو نواس أهذا الرأي . وما أصنع بالعهود والمواثيق بالمواعدة والمهادنة ؛ بالحلف والقسم . أأختر ذمتي وأحنث يميني . فأصبح مثلاً بالغدر بين الناس .

عبد العزى تذرك للمناة ، وقسمك الأول يبرئانك من كل بائقة .

ذو نواس وبمَ أجيب عبد شمس ، إن رجع يطالبني بدم أبيه وشعبه ؟

عبد العزى عبد شمس لا يرجع . وإن رجع فليس على العبد أن يعارض مولاه . وهل ينسى كل ما صنعت في سبيله ؟

ذو نواس إني أحاول بادئ ذي بدء إقناع القوم بالوعيد والمواعيد ؛ فإن أصرّوا على عنادهم ، أقذفهم الى النار — ها هم داخلون .

المشهد الخامس

كر المشين

ذو نوّاس أيها الملك الهمام الذي رفعتك همتك الناهضة الى أوج العز والفخار .

الحارث هذه المقدمة ، وما تكون النتيجة ؟

ذو نوّاس قصدت مدينتك بخيلي ورجلي ، لا بغضاً ولا إنتقاماً ، بل لرتق الخرق ، واصلاح الفاسد . وجعل السلام بينك وبين ابنك عبد شمس ، وتعلم الآلهة انه لم يكن قصدي اضرام نار الحرب . انما تجري الرياح بما لا تشتهي السفن . فدارت رحى الحرب بيننا ، وجرت دماء رجالك ورجالي . والآن جئت أدعوك للدخول في طاعتي ونيل رضاتي . فبكلمة من فيك تبدل الأحوال ، فيطلع نجم السعد في سماء نجران . بعد أقوله ، وتسطع شمس العز والهناء فوق منازلكم ، بعد أن حجبتها غيوم الحدثان !

الحارث وما هذه الكلمة ؟

ذو نوّاس هي الاذعان لإرادتي .

الحارث وما إرادتك ؟

ذو نوّاس ان تترك دينك وتدخل في ديني وتعبد المنة .

الحارث أنا الحارث عبد الله ، أترك الدين الصحيح وأجحد الإله الحقيقي وأعبد الأنصاب العجم ، والأصنام البكم ، أبلغ بك أن تكلفني العبادة للآلهة الكذبة والكفر بربي وإلهي ؟

ذو نوّاس ومن إلهك ؟

الحارث إلهي إله الحق والعدل والتقى ... ورب السما والأرض رب المعابد
إله يفوق العقل إدراك كنهه ... مثلث أقنوم بجوهر واحد
فدانا على عود الصليب وحيده ... يسوع المسيح الرب مجد الأماجد

« يُري الصليب »

فهذا صليب الله راية ديننا ... على حب رب المجد أعظم شاهد
فما قيصر بالحرب يوم انتصاره ... وما اسكندر بالبطش يوم المكائد
وما العسكر الجرار في حومة الوغى ... وقائده القهار أعظم قائد
تلالي سيوف البرق والرعد قاصف ... وهطل الدمايجري لقصف الرواعد

وجيش محمد يروي جنف مشرع بحر الوفاء واحداً بعد واحد
حتى انتصروا من صليب إهنا وأتوى على ود الردى والشدائد
فقي حق جلجال أول نصرة على جيش ابليس وكل ملاحد
وفي رومة العظمى تسامى مقامه وذكت به الأصداء ذكة بائد
به ظاهر في جزيرة صوته ببدا قسطنطين أرغاد حاسد
به نبعت المرقى من اللحد والردى وفيه شفاء من سموم الأساود
مريع شياطين الجحيم فذكره أحر عليهم من لهيب الموقد
سيظهر بيوم الدين في الجو ساطعاً فيا عز أطهار ويا خزي حاسد

ذو نؤاس فيئة الإله الذي عززت به نبياً . وجعلت عليه بركتك . ما هو إلا إله عاجز قاصر . فما استطاع أن يخلصك أنت وشعبك من بين يدي . فاترك عبادته : واعبد آلهة أعبدها آباؤك وتأمل كيف تمنعك في وجهي طرق الأمم وتخضع لدولتي الملوك وتتعرب فرايات النصر رايتها : ويبارق الضاء بيارقها . أما أنك فأنا غلبته .

الحارث جدفت في قولك الكفري فارتعدن فالله رب البرايا يمنح الظفرا
لا يغلب الله انسان ولو ملكاً فالله يغلب في احكامه البشرا

ذو نؤاس حد عن غوايتك ايها الاحمق المخادع ؛ وعد الى الهدى ايها الشيخ الجاهل .

الحارث طالما تطاولت يا ذا نواس فاحتملناك ، فلو عرفت من الشيخ الواقف امامك ؛ لما ازدريت بي . وحقرت شأني ؛ وانت الجدير بالاهانة والاحتقار . . كاني بك تجهل شهامة المسيحي انت الناكث بالعهود ؛ الحانث باليمين ، حلفت ان لا تتعرض لنا بشيء ؛ فصالحناك ؛ فاذا انت غادر ؛ لا تحفظ العهود ؛ ولا ترعى الذمم ؛ وتبر يمين . انت المخادع . خدعت ولدي فجحد دينه ؛ فالويل لك . فاين تهرب من غضب الديان . انت الجاهل تحملني على الجحود . ولا تدري من انا . كيف اجحد الدين الصحيح وانا نشرته في البلاد . كيف اكفر بالمسيح وقد مضى عليّ في خدمته سبعون عاماً . فهو ربي ولا اكفر به ابداً .

ذو نؤاس اما ان تترك دينك . واما ان نقذف بك الى النار .

الحارث لا اترك ديني لشيء . فاقذف بي الى النار .
ذو نواس (الى الجنود) قيدوه .
الحارث (بعد ان تقيد الجنود) يا قيودي . ما احلاك . (يبصق الى طرف المسرح)
ذو نواس (الى الجميع) ايها القوم . ان شيخكم قد ضل . فلا تعبأوا بهذيانه . فكروا انتم حكماء . واتبعوا الضلال والباطل .
الجميع انما نحن على هدى . وانت على باطل .
ذو نواس ان اصررتم على عنادكم . تموتون شر ميتة .
الجميع عشنا وربينا على دين المسيح . وعلى دين المسيح نموت .
ذو نواس اختاروا اما الذل والشقاء . واما السعادة والهناء . اما الهلاك واما النجاة . اما الحياة . واما الموت .
الجميع نختار الموت . حباً بالمسيح .
ذو نواس (الى الصبية) وانتم . ايها الصبية . اني احن عليكم . ولا احب تعذيبكم . اما تدخلون في ديني . فتسعد حالكم . وينعم بالكم؟
الصبيان الموت ولا الجحود ! .
ذو نواس اشفقوا على انفسكم . وذوقوا لذة الحياة . فلا طاقة لكم على احتمال الموت والعذاب .
الصبيان اولاد النصارى . لا نرهب العذاب . ولا نخشى الموت .
ذو نواس (الى الجميع) اني اتركم وحدكم . لعلكم تفيقون من غفلتكم . وتصحون من نشوتكم . (يخرج مع قواده)

المشهد السادس

الحارث وقومه

الحارث يتركنا وحدنا . لعلنا نكفر بديننا . لقد ضل في اوهامه .
الجميع واي ضلال !
فيرون ما اسمى الجهاد في سبيل المسيح . ايها العباد . تأملوا باكليل المجد والسعادة المعد للغالبين . لا تخافوا من يقتل الجسد ولا يستطيع اكثر من ذلك . خافوا خاصة من يمكنه ان يلقي الجسد والنفس معاً في جهنم النار . فهل بينكم من يرهب الموت والاستشهاد ؟
الجميع لا . لا . فما احلى الموت . وما اسمى الاستشهاد .

فيمون (منشداً)

عزي وتيهي دلالا يا ابنة العرب ... يا بنت نجران هاتي آلة الطرب
عيد المثاني تخطر اليوم رتبته ... في نغمة العود تجلى غمة الكرب
اليوم عيدك يا نجران فابتهجي ... قد صار عزك فوق السبعة الشيب
اني اراك وابواب السما انفتحت ... تهدي اليك اكاليلاً من الذهب
كل الملائك حول العرش قد رقصت ... في عيدنا وشدت في صوتها العذب
غنت غناء دري الخبر رددده : ... فتت الملا شرفاً يا امة العرب
صبوت مجداً بك قد حزت من نعم ... اظهرت بين البرايا شيد العجب
ملك عظيم قدير مع رعيته ... يموت حباً بدين الله في الصبب
سبعون الفاً بنو نجران قد ثبتوا ... في الدين وسط لهيب النار واضربي
حب المسيح بقلب الشعب مستعرٌ ... نار الهية تطغي شعلة الخطب
يا آل نجران طوباكم فان لكم ... ذكراً يدوم مدى الاجيال واحقب

الحارث باركنا يا كاهن الرب لنقوى على العذاب ، واطلب لنا الصفح والغفران . (يركع الجميع)

فيمون (يرفع يديه نحو السماء) ايها المسيح بارك بنيك واغفر خطاياهم ، وكن عزاءهم ورجاءهم ، وسط اللهيب ، في الاخاديد . (يركع الجميع) ابانا الذي في السماوات . ليتقدس اسمك . ليأت ملكوتك . لتكن مشيئتك . اغفر لنا آثامنا . كما نغفر لمضطهدينا . لا تدخلنا التجارب . وخلصنا من ابليس . كي نسبحك . ونمجدك الى دهر الداهرين .

ذو نواس (يكون دخل في اول الصلاة)
— يكملون — نؤمن بالله واحد ، آب ضابط الكل . وبرب واحد يسوع المسيح ، ابنه الوحيد . وبروح القدس ، والحياة الابدية . آمين .

المشهد السابع

ذو نواس . النصارى . جنود .

ذو نواس قد خددت الاخاديد ، واضرمت فيها النار لألقي فيها كل معاند جبار .

الحارث ما احلى النار ؛ تجاه الكفر والعار .
ذو نواس ابشروا اذن بالموت .
الحارث شكرًا لك ربنا وحمدًا .
ذو نواس ايها الجنود . احيطوا بهم وخذوهم الى العذاب .
عبد المسيح آه ! آه . جدي ؛ دعوني اخت بجدي ! ردوا عليّ جسدي ! اين ذاهبون بجدي ؟
ذو نواس صه . يا صبي ؛ واقترب منّي .
الحارث يا رب ؛ فليسكن قلبه روحك القدوس .
عبد المسيح اتركوني ارافق جدي .
ذو نواس ساتركك . ايما احب اليك ، ان تكون معي وتصير لي ابنًا ؛ ام تلحق بجدك ؟
عبد المسيح مع جدي احب الي . فدعني اتبعه واموت شهيدًا للمسيح .
ذو نواس اسمع . اتعرف انت الذي يقال له المسيح ؟
عبد المسيح نعم اعرفه .
ذو نواس ايما تحب اكثر : الحياة ام المسيح ؟
عبد المسيح اني احب المسيح ربي ومخلصي . دعني اخت بجدي .
ذو نواس لا حاجة لك ان تذهب مع جدك . عش في قصري مسرورًا ؛ سعيدًا .
عبد المسيح بئست السعادة سعادة الكفرة ، لا اريد ان اكون معك سعيدًا . واخفني ؛ من يوصلني الى جدي ؟ !
ذو نواس ان جدك ذاهب الى الموت ؛ الى النار .
عبد المسيح اذهب الى النار .
الحارث تعالَ ؛ بنيّ .
ذو نواس (الى الجنود) . الجميع الى الاخاديد المحمية .
الجميع الى الاخاديد السماوية . (يخرج ذو نواس)

المشهد الثامن

(ينشد الشهداء اغنية الشهادة)

العيان ابشروا نلنا المنى وحظينا بالظفر .
قد تسامى محدنا فوق اجياد البشر .

(بازمة) هيّا بنا . هيّا بنا . نحو السما هيا بنا .
اصدقاءنا لا تفرحوا . لا تحزنوا . احبابنا .

موتنا عز لنا في النعيم المنتظر .
وسرور وهنا وضياء كالقمر .

في دمانا تفتدي دين رب قد سما .
وافرحوا يا شهدا فجزاكم في السما .

الحارث آه ! ما كان اكمل سعدي اليوم ، لو كان بيننا عبد شمس !

المشهد التاسع

عبد شمس (يسخر) مهلاً ايها الاقوام . الى اين انتم ذاهبون بالملك الحارث .
(تقف الجنود)

عبد العزى يا خيبة المسعى . فما جاء به الآن ؟

عبد شمس الى اين انت ذاهب يا ابي ؟

الحارث الى الموت .

عبد شمس لا تموتن وابنك حي .
(الى عبد العزى) ويلك يا مخادع . لقد خدعتني ومكرت بي . وانطلت علي حيل مكرك . فجعلتني العوبة في يدك . ووسيلة للبلوغ الى مأربك وانتقامك من ابي .. يا خائن ...

عبد العزى نعم اردت أخذ الثأر من الحارث .. ابتغيت ان ابيد نسل الحارث واحو اسمه عن وجه الارض والاشي دين المسيح من هذه البلاد ، بغضاً للحارث ، فغدرت ببغيتي .

عبد شمس انما دنت ساعتك فودع حياتك يا لئيم .
(يستل سيفه ويهجم نحو عبد العزى)

الحارث لا تفعل يا عبد شمس .

عبد شمس (يضربه بالكرباج . ويكون هو في المرمى) خذها يا غدار وانحدر الى لهيب النار .

عبد العزى يا ابن الحارث قتلني . ويا مسيح النصارى غلبتني .

عبد شمس (نحو الكرباج) اهبطا الى قعر الجحيم معذباً وسط اللهيب بحر نار كاوية
فجزاء قتل النامس قتل مرعب وجزاء كل المكر نار حامية .

الحارث ماذا صنعت يا عبد شمس . فقد دنست يدك بدم خائن .

عبد شمس عبد خائن استوجب ذنبه الموت فبادرته نقمة العصابة .
رئيس القواد هيا بنا الى الاخاديد .
عبد شمس ويلكم يا انذال .
الحارث يد سيفك يا عبد شمس ولا تحرمني اكليل الشهادة : وبعد السعادة. فما لذة الحياة بعد موت رعيتي . فدعني اموت لاكفر عن كفرك وجحودك . دع لهيب الاخدود يلتهم عظام ابيك فيعرّض عما جنت يداك وجرت على اهلك وذويك . دعني احترق بلظى النار لعلي افديك من نار جهنم . فان احببت ان تسر فؤاد ابيك بعد ان نغصت عليه عيشه فتب الى ربك . فالرب يحب التائبين .
عبد شمس لقد توغلت في طريقي وبعدت في مسلكي الوعر .
الحارث دموع التوبة تميد في وجهك كل عقبة .
عبد شمس صار رجوعي الى الوراء فوق المستطاع .
الحارث من لاذ بالرب هان عليه كل صعب .
عبد شمس فكفراني بالمسيح جعل بيني وبينه حاجزاً متيناً لا تقوى عليه قوات البشر .
الحارث كفر بطرس بالمسيح ؛ وتاب . ففاز بالنعمة .
عبد شمس ذنبي ذنب يهوذا ويهوذا لم يتب .
الحارث كن مثل بطرس فتنال الرحمة .
عبد شمس ذنبي اعظم من كل رحمة .
الحارث (يرفع يديه وعينيه ويبكي) يا رب السماء .
عبد شمس (يضم ذراعيه) أفهكذا تلعنني يا ابي ؟
الحارث بل اصلي الى الرب ليمس حبه قلبك يا ولدي .
عبد شمس قلبي اصلب من الجلمود . فلا تؤثر به يد الله .
فيمون لا تجدف يا عبد شمس ؛ ولا يجزع قلبك يا حارث ؛ فصلاة الشهيد لا ترد .
الحارث اذا لم تنفعه صلاتي . افلا ينفعه بذل حياتي . ايها المسيح الاله حياتي فدى عن ولدي .
عبد شمس (يركع ويقبل يد ابيه) باركني لعل المسيح يرحمني .
الحارث (يباركه ويعانقه) . . . . . .
عبد المسيح (يتقدم قليلا) وانا يا ربي حياتي فدى عن نفس عمي .
عبد شمس آه يا عبد المسيح ، اصفح عما اسأت به اليك : وسامحني .

عبد المسيح لقد صفحت وسامحت قبل اليوم .
عبد شمس تحبني يا ابن اخي ؟
عبد المسيح بحياتي افديك يا عماه .
عبد شمس ولكنا افلا استطيع في سبيلك شيئاً .
عبد المسيح نعم تستطيع . ارجع عن كفرك فتعزي قلب جدي وقلبي .
عبد شمس صل لاجلي لتغفر لي خطيئتي .
رئيس الشرط عجلوا بانجاز الاوامر (لرسل الشرط الخارج)
عبد شمس (يخاطب يوسف) وما ذنب ملك نجران فيساق كالمجرم الى العذاب .
رئيس الشرط (يبعد عبد شمس ويقول) : ما نحن الا منجزو اوامر ذي نواس الملك .
عبد شمس (يسقط سيفه) ان تخطوا خطوة فالموت .
الحارث رد حسامك . فانت وحدك .
عبد شمس ان يقطع رأسي وتخمد انفاسي ولا يمس ابي ضيم .
رئيس الشرط كفاك يا هذا . فلا بد من تنفيذ الحكم ..
عبد شمس وتربة اجدادي لا يموت ابي تصب عيني وفيّ رمق .
رئيس الشرط ايها الجنود .
عبد شمس (يستل سيفه من جديد) حذار حذار . فالويل لكم اذا ...
الحارث لا تضرب .
عبد شمس هل ادعك تموت .
الحارث اموت فدى عنك ، وشهادة للدين . فما احلاها ميتة على قلبي .
(يخرج)
عبد شمس بل الاولى بالعتق ان يفدي اباه . فهيا بنا الى ذي نواس . اخلص ابي او اموت معه . (يخرج)
(يدخل ذو نواس)

المشهد العاشر

ذو نواس وحده

ذو نواس رجال واي رجال . ابطال واي ابطال . نجلدهم ، فيسامحوننا . نعرض عليهم النار ، فيتراموق فيها ، وهم يبتسمون ، كانهم آلة . شيوخهم لا ترهب الموت . وصبيتهم تفرح بالعذاب . يا للمشهد المدهش كيف يودع الاب ابنه ، والاخ اخاه ، والام

ابتها . ثم يلقين انفسهم في النار فرحين هاتفين : حباً بالمسيح ...

عجباً ! هذا عبد شمس ! كيف تخلص من المكيدة . وقت نوبة الحارث . فانه يصوب الى عبد شمس ابصار الحب والحنو ويمد نحوه ذراعيه كاني به يودعه لآخر مرة . ها انه رافع عينيه ويديه نحو السماء . وصوته الصادر من صميم الفؤاد يخرق اسماعي ، وهو يقول : ربي ، حياتي فدى ولدي .. هذا ان عبد شمس جاش وبد الحارث تباركه .. التقى الحارث بنفسه في النار .. (سكوت) قد ارتفع اللهيب الى السماء وفني الجميع .. الجميع .. افرح وابتهج يا خليفة التابعة ، فقد قدمت لآلهتك محرقة لا تنقص عن سبعين الف نصراني .. وقد تخلصت من عبد العزى ، وكنت ارهب دهاءه اكثر من الموت ... لكن يا للعجب ، من اتى بعبد شمس في مثل هذا الوقت .. فان طالبني بدم ابيه فماذا اجيب ؟ لقد عجلت بالقضاء .. فان اثار علي اصحابه ، فما العمل ؟ .. وان واقعتنا عساكر الروم والحبشة ، فكيف النجاة ؟ (يدخل عبد شمس)

المشهد الحادي عشر

عبد شمس اني شهدت النار تحرق والدي ... فاذاب قلبي العطف ذاك المشهدُ
فاضاء عيني نور حق ساطع ... فأنا مسيحي وربي أعبد
يسوع ربي خنت دينك جاحداً ... ما عدت لو قطعت اربا اجحد
اني اتوب اليك فاقبل توبتي ... واصفح الهي انت ربي الاوحد.

(يتقدم الى ذي نواس)

ياذا نواس اين عهدك مع اني ... اين اليمين واين منك الموعد .
ابعدتني فغدرت غدراً سافلاً ... وقتلت اهلي وسط نار توقد .
فانا على دين المسيح فعجلن ... قتلي فقلبي اليوم لا يتردد .

ذو نواس اني اشفق عليك وارثي لحالك . فقد ذهب الرجع برشدك . فعد الى الهدى . فارقع مقامك ، والا ستندم .

عبد شمس عجل علي بالعذاب ، فانا اضحك من وعدك . واسخر بوعيدك . واطأ بنعلي الملك الكاذب ، الذي عبدته زعماً مني . فاقتلني . فانا على دين اني واهلي .

ذو نواس — في لا اليمك . فالوجع الشديد يلقي اليك ما تقول . فاني اتركك حتى يسكن روعك . (يخرج)

المشهد الثاني عشر

(يحضر حنو مسرعاً . ويقف بقرب ذي نواس . وهو غير مبالٍ) .

عبد الملك — الشرر . الفرار . سيدي . فقد فاجأت بنا فجأة جنود الحبشة ؛ بخيلهم وفيلتهم يقودهم ارياط وابرهة . فبددوا شمل جنودك ومزقوهم كل ممزق . وليس لك خلاص من ايديهم .

ذو نواس — احقاً ما تقول ؟

عبد الملك — ها هم داخلون . فانظر .

ذو نواس — ما العمل ؟ ما التدبير ؟ فليس الا ان اقتحم فرسي لجة البحر . فالموت بالبحر احسن من موت بيد آساد سود .
يا ابن مريم ؛ غلبتني . (يخرج . يقفو عبد الملك) .

المشهد الثالث عشر

(عبد الملك) .

امضوا جميعاً . وخلوني باحزاني ؛ ابكي واندب حظي يوم خسراني
يا خف قلبي على موت به شرفي يا سوء حظي ويا ويلي انا الجاني
يا ليتني مت في الاخدود ملتهباً كشعلة النار تكفيراً لكفراني
لو كنت مت شهيد الدين وا ندمي لكنت كفرت عن كفري بايماني
كفري عظيم وذنبي لا يماثله ذنب فلا اطمعن في نيل غفراني
جحدت ديني ولم اشفق على وطني قتلت اهلي واصحابي وخلاني
دمعي سخين وحزني اج لاعجه ما نار اخدودهم مع حر نيراني
هل يغفر الله ذنبي آه واندمي ؛ فلست اهلاً لغفران واحسان
كأن صوت ابي يهتز في اذني ياعبد شمس حيبي كيف تنساني
فنقطة من دمي تطفي جهنمهم ودمعة منك تمحو كل عصياني
اني وعزي ومحبوبي ومعتمدي انظر بكائي وايجاعي واحزاني
اني ؛ وحقك ؛ لا انساك في وجعي وكيف ينسى فؤادي خير انسان
لذاك ازهد في دنياي مختبئاً بين المغاور ابكي طول ازماني
ابكي جحودي دماً ابكي على وطني ابكي حياتي على تدمير نجران
فارحم الحي مسيئاً جاء معترفاً واغفر ذنوبي ايا رب وديباني
يا آل نجران صفحاً فانظروا ندمي مني السلام عليكم آل نجران .

(تمت)